

الإسلام والعولمة

محمد إبراهيم مبروك

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

رقم الإيداع: ٩٩ / ٣٠٢٠

الترقيم الدولي: ISBN

977 - 19 - 8060 - 2

الإسلام والعولمة

- | | |
|--------------------------|------------------------|
| أ. جمال البنا | د. أحمد عبد الرحمن |
| د. رفعت سيد العوضى | د. حمدي مرزوق |
| د. سيف الدين عبد الفتاح | د. سيد الدسوقي |
| د. عبد الوهاب المسيري | أ. عادل حسين |
| محمد ابراهيم مبروك | د. علي جمعه |
| د. محمد عبد المنعم البري | د. محمد السيد الجليلند |
| د. محمد مورو | د. محمد عمارة |



الإهداء...

محمد إبراهيم مبروك

مقدمة

موقفى الثابت هو تقديم الأطروحات التجديدية بدلاً من تكرار الدعوة اللا مجدى إلى التجديد وانطلاقاً من ذلك فإن هدفى الدائم هو دفع الفكر الإسلامى فى أتون الصراعات الفكرية العالمية لبلورة الرؤية الإسلامية التجديدية لمختلف الجوانب التى تفرضها التحديات المعاصرة بدلاً من الركود فى القضايا التقليدية التى قتلت بحثاً أو الانزلاق إلى الجدل السفسطائى المدمر حول إسلام أو كفر الأمة.

لقد شغل العقل الإسلامى بالصدامات السياسية عن تطوير مشروعه الفكرى الحضارى وعلى الرغم من وجود بعض الاجتهادات فى هذا الاتجاه لكنها لاترقى لطور التنظير لبناء نسق فكرى متكامل يمكن دمجها داخل المشروع الحضارى المنوط العقل الإسلامى بتقدمه، فيجب الاعتراف بأن الفكر الإسلامى الحالى قاصر الآن عن مواجهة تحديات المرحلة والاستجابة لمتطلباتها. فنحن نحتاج إلى فكر إسلامى جديد قادر على استيعاب المتغيرات الحضارية والرؤى والتصورات الغازية وتقديم البديل الحضارى المستخلص من تفاعل الحقائق الإسلامية مع الواقع المعيش.

وقد يمثل واقع العولمة الذى تفجّر منذ أواخر الثمانينات خير صدمة لإيقاظ هذا العقل ودفعه إلى التجديد والنهوض لاضطلاع بمسئوليته فى مواجهة مخاطر العولمة والدفاع عن هوية الأمة من الذوبان.

كان هذا هو ماأفكر فيه عندما دعوت إلى مؤتمر الإسلام و العولمة

(الذى ننشر نصوصه فى هذا الكتاب) فوجدت استجابة كبيرة من رموز الفكر الإسلامى وأساتذة الجامعات، والطائفة التى شاركت فى المؤتمر هى الطائفة التى استطعنا ضبط مواعيد حضورها مع زمن المؤتمر الذى انعقد بأحد الأحزاب المصرية يومى التاسع والعشرين والثلاثين من يونيو عام ١٩٩٨ وهناك طائفة أخرى من تلك الرموز تعذر حضورها بسبب ارتباطاتها الزمنية فى هذين اليومين ومن بين هؤلاء المفكر الإسلامى الكبير الأستاذ جمال البنا^(١) الذى تعذر حضوره بسبب السفر وأتاب عن ذلك بتقديم ورقته الفكرية الإسلامية (دين العالمية لا العولمة) التى ألحقناها بالمؤتمر فى هذا الكتاب.

وكان الهدف من الحلقة النقاشية التى ضممنها إلى المؤتمر فى الكتاب^(٢) هو دفع الفكر الإسلامى إلى خطوات أكبر فى نفس الاتجاه؛ ولهذا جاء موضوعها عن الخطوط الأولى لمواجهة العولمة فإذا كان الموقف الإسلامى الذى تحد فى هذا المؤتمر هو المواجهة فكان لابد من تحديد الخطوط الأولى لتلك المواجهة لتكون المسئولية الكبرى المترتبة على ذلك هى تقديم البديل الإسلامى للرؤية الحضارية التى تعمل آليات العولمة على فرضها على العالم أجمع، وهى المسئولية التى يناط بكل العقول الإسلامية المفكرة القيام بها.

(١) الأستاذ جمال البنا مفكر إسلامى له إسهاماته الفكرية التجديدية المتعددة التى نتفق أو نختلف معها دون أن ننكر فضل إسهامه الفكري الكبير في الدفاع عن العقيدة الإسلامية من الفلسفات والأيدولوجيات الغربية الغازية في العديد من كتبه مع تحفظنا في الوقت نفسه علي الكثير من آرائه الخطيرة.

(٢) عقدت في المركز العربى للصحافة (مجلة الغد العربى)

ولأننى أن بعض الكلمات التى جاءت فى المؤتمر عبرت أفكارها عن قراءة أولى لواقع العولمة ولكن فى الجانب الأكبر بجوار ذلك دراسات ورؤى متعمقة فى تحليل واقع العولمة وكشف الأسباب التى تطورت عنها والمخاطر التى تحملها بل إن بعض هذه الدراسات كشفت عن تنبؤ أصحابها فى دراساتهم وكتبهم السابقة للمتغيرات العالمية التى أدت إلى واقع العولمة هذا ربما قبل العديد من مفكرى الغرب أنفسهم وأذكر فى هذا الصدد على وجه الخصوص كلمة الدكتور عبدالوهاب المسيرى^(١).

إن الإسلام بمنظومته الرسالية لا يستطيع أن يقف مكتوف الأيدي أمام ما تمارسه العولمة الأمريكية من سحق للشعوب وتحطيم للكينونة الروحية للإنسان. وبعد سقوط الأيديولوجيات الغربية يظل الإسلام الأيديولوجية الوحيدة القادرة على استنهاض شعوب العالم الفقيرة والمستضعفة وإنقاذها من مظالم العولمة بل وإنقاذ الطبقات الفقيرة والمستضعفة فى بلاد الغرب الأمريكى ذاته.

ولكن أمامنا فى سبيل تحقيق ذلك جهوداً كبيرة فلندعوا الله أن يمدنا بالعون ويوفق جهودنا إلى تحقيق الأهداف المرجوة لهذه الأمة.

والله ولى التوفيق

محمد إبراهيم مبروك

مدير المؤتمر والندوة

الجيزة - يناير ١٩٩٩

(١) راجع فى ذلك المجلد الأول (الإطار النظرى) من موسوعة الدكتور عبدالوهاب المسيرى (اليهود واليهودية والصهيونية : نموذج تفسيرى) ذلك المجلد الذى يعد من وجهة نظرنا أهم عمل فكري أنتجه العقل الإسلامى فى نقد المنظومة الحضارية الغربية فى الربع الأخير من القرن العشرين.

مدخل

العولمة في الغرب والشرق

تصدير النموذج الأمريكى

مدخل:

العولمة فى الغرب والشرق

منذ أواخر الثمانينات والجدل المتشابك حول العولمة لا ينتهى حيث يختلط الموقف الأيدىولوجى بالموقف السياسى بالمصالح الاقتصادية بصدد التحليلات الفكرية لحالة التشكُّل السياسى والاقتصادى العالمى التى تصنعها التطورات العالمية المصاحبة للعولمة الآن وتتغلف تلك المصالح السياسية والاقتصادية برطانة اللغة العلمية والتحليل الموضوعى.

وفى إطار تلك المواقف المتباينة سنحاول قبل عرض الموقف الإسلامى من القضية الذى جاء فى الكتاب أن نعرض لبعض تلك المواقف ورود الفعل العالمية التى أثارته قضية العولمة فمن وجهات النظر الأمريكية السافرة فى التحيز لعولمة المنظومة الثقافية الأمريكية نقرأ لدافيد روشكوف أستاذاً لعلاقات الدولية بجامعة كولومبيا المسئول السابق فى حكومة كلينتون قوله : يذهب العديد من المراقبين إلى أن استغلال الفرص التى خلفتها الثورة المعلوماتية الكونية للترويج للثقافة الأمريكية على حساب الثقافات الأخرى هو شىء بغيض، لكن هذا النوع من النسبية أمر خطر بقدر ما هو خاطئ. إذ إن الثقافة الأمريكية تختلف جوهرياً عن الثقافات ابنة بيئتها فى العديد من المجتمعات الأخرى. فالثقافة الأمريكية هى مزيج من المؤثرات والمناهج من مختلف أنحاء العالم . وقد انصهرت - عن وعى

فى حالات عديدة - وسط واقع اجتماعى يسمح بازدهار الحريات الشخصية والثقافات. وإذ يدرك الأمريكفون ذلك، فإنهم فجب ألا فنجلسوا من القفام بماهو فى مصلحتهم الاقتصادية والفساسفة والأمنية - وبالتالى بماهو فى مصلحة العالم ككل . فففعفن على الولايات المتحدة ألا فتردد فى الفروففج لقمفمها. وفى سفعفم لأن فكونوا مهبفن أو فساسفن، فنبغى على الأمريكفن ألا ففكروا حقيقة أنه بفن كل الأمم الفف عرفها فارفخ العالم، فإن أمفمها هى الأكثر عدلاً، والأكثر فسامحاً، والأكثر حرصاً على إعادة فقفم الذات وفمفسفنها، وهى النموذج الأفضل للمستقبل .

ففعفن على الأمريكفن أن فروجوا لرؤففهم للعالم. لأن الفشل فى القفام بفلك أو فبنى موقف «عش وفع ففرك فعفش» فعنان الفففى فهل فبنى قادة لأفانب لنماذج فشجع الفزعة الانفصالية والصفوع الففافية الفف فقفوض الأسفقرار فمفل ففهدفداً لمصالح الولايات المتحدة وللسلام الإقلفمى، وللأسواق الأمريكية ولقرفة الولايات المتحدة على القفابة؟ إن الإجابة هى نعم بالفأكفد. فالنسبفة لفسف سوى قناع ففخفى خلفه هؤلاء الففن ففجبون إمعان النظر، وسواء قبل الأمر ففكون كل ففج فففجبون أم لا، فإنهم فجب أن ففكروا أنه كلما فسعت ففجوات القفم الففافية فى العالم كان من المرجح أكثر أن ففولف النزاعات إفا أن الشرط الففوى اللازم للففصول على المكاسب الففلى من الفكامل الكونى ففمفل فى الفمففز بفن السمات الففافية الفف فمكن ففجب الفسامح معها - بل وفشفعفها حقاً - وبفن فلك الفف فمفل الشروف والفف فسفصبف صفوعاً^(١) .

فهذه الرؤفة الأمريكية فرفض النسبفة الففافية بما فعنفه من فنوع ففصارات

(١) فى مففح الإمبرفالة الففافية - الففافة العالمية (الكوف) - عفا فوفبر ص ٣٥، ٤٠

وترفض التسامح مع التميزات الثقافية التي تصنع استقلالاً حضارياً وتعتبر ذلك خطراً على مصالح الولايات المتحدة والأسواق الأمريكية. وبلغت أخرى أكثر حذراً من هذه اللغة الإمبريالية التي تحدث بها روشكوف يمضى داني رودريك أستاذ كرس الاقتصاد السياسى فى جامعة هارفارد فى نفس الاتجاه فيقول:

«يجب ألا نفرع من العولمة ، كما يجب ألا نأخذها بخفه، فالعولمة تفتح آفاقاً وتتيح فرصاً هائلة أمام أولئك الذين لديهم المهارة والقدرة والمؤهلات التي تمكنهم من الحركة والأزدهار فى الأسواق العالمية.

كذلك يمكن أن تساعد العولمة الدول الفقيرة على الإفلات من قبضة الفقر وهي ليست قيداً على الاستقلال الوطنى بالقدر الذى تفترضه الأحاديث والمناقشات الشعبية . غير أن للعولمة، من الجانب الآخر، ضغوطاً لخفض أجور العمال غير الفنين فى الدول الصناعية المتقدمة، وتفاقم الإحساس بتناقص الأمان الاقتصادى ، وتعرض أشكالاً من النظم المجتمعية المرعية للخطر، وتضعف مظاهرات الضمان الاجتماعى.

فثمة نوعان من الخطر يمكن أن يترتبا على عدم الحذر من بعض النتائج الاجتماعية للعولمة، أو لها وأكثرها وضوحاً ، هو حدوث رد فعل سياسى حاد ضد التجارة . وقد كشف ترشيح باتريك بوكانان للرئاسة الأمريكية عن الحزب الجمهورى، ودعايته فى الانتخابات التمهيدية، كشف عن حقيقة أن السياسة الحمائية يمكن أن تروج بسهولة، خاصة فى زمان يمتلك فيه القلق شرائح سكانية واسعة فى المجتمع الأمريكى بسبب العولمة والشىء نفسه يمكن أن يقال عن النفوذ الكبير الذى يتمتع به فلا ديمير جيرينوفسكى فى روسيا ، وجان مارى لوبان فى فرنسا وهو نفوذ تحقق - وإن جزئياً -

استجابة لإثارة المخاوف من النتائج المرتقبة للعولمة . وقد يذهب الاقتصاديون إلى أن السياسات الحمائية لا تجدى ، أن مصدر الشكوى تحتاج إلى علاج مختلف ولكن حجج المثقفين لا تكسب العقول والقلوب إلا إذا قدمت حلولاً ملموسة. وإقامة الحواجز في وجه التجارة ، مهما اختلفت الآراء حولها، لها ميزة كونها حلاً ملموساً.

ربما يلقي أشباه بوكانان الهزيمة في المستقبل ، كما هزم بوكانان نفسه بفضل الإدراك المنطقي البسيط للجمهور الأمريكي. ولكن حتى لو حدث هذا ، فإن خطراً آخر يبقى، ربما كان أشد من الأول، ذلك هو تراكم الآثار الجانبية للعولمة التي يمكن أن تفضي إلى تشكيلة جديدة من الانقسامات الطبقية بين الذين يستطيعون أن يكسبوا ويزدهروا في الاقتصاد المعولم وأولئك الذين لا يستطيعون، وبين الذين يستطيعون أن يتواءموا مع قيم العولمة وأولئك الذين يفضلون ألا يتواءموا ، وبين الذين يستطيعون أن ينوّعوا اختياراتهم ليتلافوا مخاطر العولمة وأولئك الذين لا يستطيعون وهذه توقعات لا تبعث على الأطمئنان، حتى بالنسبة للأفراد الذين سيحققون كسباً شخصياً ، لأن الانقسامات الاجتماعية، حين تزداد حدة، تكون خطراً على الجميع وواضح أن الرجل لا يهتم كثيراً بالمضار الاجتماعية والطبقية الناجمة عن العولمة إلا عندما تغدو - نتيجة تراكمها - خطراً يهدد أولئك الذين يستطيعون أن يكسبوا ويزدهروا في الاقتصاد المعولم^(١) .

أما ميشيل كلوغ فيبرز مظهرين متناقضين للعولمة بالنسبة للأمريكيين حيث يذهب إلى أنه «هناك أطروحة تحدد مظهرين للعولمة:

المظهر الأول : ليس للعولمة على الولايات المتحدة الآثار نفسها التي

(١) المعقول واللامعقول في الحدل الدائر حول العولمة العدد السابق من الثقافة العالمية ص ١٠٢ ، ١٠٣

على البلاد الأخرى، لسبب أساسى هو أن الولايات المتحدة هي، فى آن معا، البلد الأكثر انفتاحا على العالم والأكثر حضوراً به.

المظهر الثانى: هو الحضور الأمريكى على الصعيد العالمى . فمن المؤكد أن العولمة عملت كثيراً على انتشارا وانغراس الولايات المتحدة بالعالم وبالفعل، ففى كثير من البلدان يتوافق مصطلح العولمة مع معنى الأمركة.

هذان المظهران المتناقضان يخلقان مسافة بين تحديد العولمة فى أمريكا وخارجها . فبالنسبة لغالبية الأمريكيين، تعد العولمة شيئاً ماثلاً لديهم، على حين أنه بالنسبة للآخرين، يتم النظر للعولمة على أنها قادمة لهم من أمريكا. فنحن نعتقد أننا «مغزؤون» بواسطة العالم .، فى حين أن العالم يعتقد أننا نغزوه. ولنذهب إلى أبعد من ذلك، فالعولمة ربما تكون بصدد جعل بقية العالم شبيها بعض الشيء بأمريكا، خيراً أو شراً . لكن ذلك لا يدل على أننا سنكون بشكل واع مؤسسى العولمة إلا لبعض الوقت، فالعولمة ستكون أكثر فائدة للولايات المتحدة منها لبقية العالم، ولا يوجد المشروع الأمريكى للعولمة أو لأمركة العالم. وبمعنى أوضح، فكلما تقدمت العولمة للأمام صارت أقل تأمركا»^(١).

أما لسترثارو (أبرز أعضاء هيئة إعداد تقارير لجنة البنوك والعملات بمجلس النواب الأمريكى) فيتحدث بلهجة أكثر صراحة عن القواعد الجديدة التى تحكم الصراع الاقتصادى الآن فيقول:

ومن أجل نجاح الاقتصاد العالمى المفتوح، فإن كل بلد ينبغى أن يشعر بأن لديه فرصة متكافئة للفوز - بما يعرف على أنه «فرصة عادلة» فى

(١) أربع أطروحات عن العولمة العدد السابق من النفاة العالمية

أمريكا، «ومعاملة بالمثل» فى أوروبا «وفرصمة متكافئة، وليس نتائج متكافئة» فى اليابان . ولكن إذا أريد أن تبدو المباراة الاقتصادية عادلة، فإنه ينبغي أن يكون هناك بوجه عام تماثل فى الضرائب والقوانين المنظمة وأساليب عمل القطاع الخاص . كذلك ينبغي التنسيق بين «المتغيرات الاقتصادية فى طريقة الحياة»، مثل المزيات الإضافية. فالمؤسسات الألمانية لا يمكن أن تعطى الأمهات الجدد إجازة لمدة ثلاث سنوات لرعاية أطفالهن إلا إذا كانت بقية العالم على استعداد لأن تجاريها فى كرمها.

وفى اقتصاد عالمى مفتوح تكون الحدود الدنيا العالية للأجور فى أوروبا مهددة بالحدود الدنيا المنخفضة للأجور فى الولايات المتحدة. كما أن الإجازات الأوروبية الطويلة (ثلاثون يوما فى ألمانيا) يصعب استمرارها على ضوء الإجازات القصيرة فى البلدان المطلة على المحيط الهادى (أحد عشر يوما فى اليابان). فالإنتاج ببساطة ينتقل إلى تلك الأجزاء من العالم التى لا يتعين فيها دفع تلك المزايا، وبذلك يفرض إلغاء المزايا.

وفى اقتصاد عالمى مفتوح فإن كل فرد، وليس مجرد العمال الأمريكيين غير المهرة، ينبغي أن يكون مستعدا لقبول تعادل سعر عوامل الإنتاج. فالرأسمالى الذى لديه استعداد العمل مقابل أدنى معدل عائد فى العالم يحدد أعلى معدل عائد لكل من عداه. وإذا كان الرأسمالى اليابانى سيقبل عائد مقداره ٣ فى المائة فإن الأمريكيين لا يمكن أن يحصلوا على ١٥ فى المائة.

والنجاح يرغم قواعد اللعبة على التغير، حتى وإن لم يكن هناك رسميا من يكتب مجموعة جديدة من القواعد. وفى هذه الحالة فإن قواعد اللعبة

الجديدة ستكتب بصورة غير رسمية فى أوروبا . فمن يسيطرون على أكبر سوق فى العالم هم الذين يضعون القواعد. تلك هى الحال كما كانت دائما فى الماضى فعندما كانت فى الولايات المتحدة أكبر الأسواق قامت هى بوضع القواعد. وعندما يتفاوض الأوروبيون حول القواعد لسوقهم الداخلية المشتركة، ويقررون كيف يرتبط الغرباء بتلك السوق ، فإنهم سيقربون فى الواقع قواعد للتجارة العالمية فى القرن القادم. وسيطبق الآخرون بالتدريج قواعد أوروبا بوصفها نظام التشغيل العالمى على أساس الأمر الواقع».

إن ثارو يرى أن قواعد اللعبة الاقتصادية ستنتقل إلى يد أوروبا الموحدة التى ستكون أعظم قوة اقتصادية بقيادة القاطرة الألمانية فى العقود القادمة وعلى الرغم من اتفاق المحللين العالميين على التقدم الاقتصادى والتكنولوجى للألمان الذى يذهب إليه ثارو ولكن القلق هو على التهديدات التى تمثلها العولمة على المظلة الاجتماعية داخل ألمانيا نفسها والتى تميزت بها لفترة طويلة ولذلك فإن الألمان هانيس بيترمارتين وهاردشومان شديدا القلق بهذا الصدد فهما يذهبان إلى أنه «مع نمو العولمة يزداد تركز الثروة، وتوسع الفروق بين البشر والدول اتساعا لا مثيل له. فالمؤلفان يشيران إلى أن ٣٥٨ مليارديرا فى العالم يمتلكون ثروة تضاهى ما يملكه ٢,٥ مليار من سكان المعمورة، أى ما يزيد قليلا على نصف سكان العالم. وأن هناك ٢٠٪ من دول العالم تستحوذ على ٨٥٪ من الناتج العالمى الإجمالى، وعلى ٨٤٪ من التجارة العالمية، ويملك سكانها ٨٥٪ من مجموع المدخرات العالمية . وهذا التفاوت القائم بين الدول يوازيه تفاوت آخر

داخل كل دولة ، حيث تستأثر قلة من السكان بالشطرن الأعظم من الدخل الوطنى والثروة القومية، فى حين تعيش أغلبية السكان على الهامش. وهذا التفاوت الشاسع فى توزيع الدخل والثروة سواء على الصعيد العالمى أو على الصعيد المحلى ، لم يعد بالأمر المزعج ، بل بات فى رأى منظرى العولمة مطلوباً فى حلبة التنافس العالمى الضارى^(١).

ويشير الكاتبان إلى تأكل النموذج الألمانى القائم على جانب كبير من الحماية الاجتماعية للعمال بسبب إجبار رأس المال الحكومات على تقديم تنازلات فيقولان: «إن أهمية رأس المال الجديدة تقتلع دولاً بمجملها، وماتقوم عليه هذه الدول من أنظمة اجتماعية، ومن الجذور . فمن ناحية هى تهدد، مرة هنا ومرة هناك ، بهروب رأس المال لكى تجبر الحكومات على تقديم تنازلات ضريبية عظيمة ، ومنح تبلغ المليارات أو إقامة مشروعات بنية تحتية لا تكلفها شيئاً. وحيثما لا يجدى التهديد نفعا فإنها تساعد نفسها بوضع خطط ضريبية على مستوى عال جداً: فالأرباح لا تعلن إلا فى تلك البلدان التى يكون فيها معدل الضريبة منخفضاً فعلاً. وهكذا انخفضت على المستوى العالمى النسبة التى يشارك بها أصحاب رؤوس المال والثروة فى تمويل المشاريع الحكومية. أما فى الناحية الأخرى فإن الموجهين للتدفقات العالمية لرأس المال، يخفضون باستمرار مستوى أجور عمالهم الدافعين للضرائب الحكومية ، الأمر الذى ترتب عليه انخفاض حصة الأجور من الدخل القومى على المستوى العالمى . هذا ولا توجد دولة بوسعها أن تتخلص ، بمفردها، من هذه الضغوط . أما بالنسبة للنموذج

(١) فخ العولمة: ص ١١

الألماني فإنه ، حسب مايقوله عالم الاقتصاد الأمريكي روديجر دورن بوش (Ruediger Dornbusch) «سيطبخ ويذوب شحمه بكل معنى الكلمة» في المنافسة الدولية للشركات عابرة القارات^(١).

وأهم مايكشف عنه هذان الكاتبان الألمانيان أن تلك الحالة من عدم السيطرة ليست وليدة التطور التكنولوجي الاقتصادي العالمي بقدر ما هي نتيجة حتمية خلقتها سياسيات رجال الحكم في الغرب فيقولان في ذلك: ورافعوا راية العولمة، يحاولون بما يختارون من عبارات وصور، الإيحاء بأن الأمر يتعلق بحدث شبيه بالأحداث الطبيعية التي لا قدرة لنا على ردها والوقوف بوجهها، أى أنها نتيجة حتمية لتطور تكنولوجي واقتصادي ليس بوسعنا إلا الإذعان له. والواقع أن هذا ليس إلا ثثرة. فالتشابكات الاقتصادية ذات الطابع العالمي ليست حدثاً طبيعياً بأى حال من الأحوال، إنما هي نتيجة حتمية خلقتها سياسة معينة بوعى وإرادة . فالحكومات والبرلمانات هي التي وقعت الاتفاقيات وسنت القوانين التي ألغت الحدود والحواجز ، التي كانت تحد من تنقل رؤوس الأموال والسلع من دولة إلى دولة أخرى. فرجالا الحكم في الدول الصناعية الغربية هم الذين خلقوا، ابتداء من تحريرهم المتاجرة بالعملات الأجنبية وعبر السوق الأوروبية المشتركة، وانتهاء بالتوسع المستمر لاتفاقية التجارة العالمية المسماة «الجات» بانتظام الحالة التي يعجزون الآن عن معالجتها»^(٢).

والقلق الذى تثيره العولمة فى اليابان قلق من نوع آخر فليس مصدره

(١) المرجع السابق. ص ٣٢.

(٢) المرجع السابق: ص ٣٣

التنافس الاقتصادي العالمى من وجهة نظر الكاتبان هاماتا نوبورو وآلان جيلرم ولكن على السيادة على ما يسمياه «البحر المتوسط الآسيوى».

يقول هاماتا نوبورو وآلان جيلرم في مقالهما اليابان هى العالم الآن: «من جانبنا، نحن اليابانيين، لاثمنا كثيرا مشكلة العملة، فلدينا اقتصاد كونى و فى القلب من الاقتصاد العالمى وهذا التوجه يتنامى بمرور الأعوام، وبالأخرى فإن مشكلتنا هى فى معرفة أين سيكون «مركز» هذا الاقتصاد (الذى نسميه نقلاً عن بردول «البحر المتوسط الآسيوي»)، فهل سيكون هذا المركز على سواحل الصين أم فى اليابان؟

هذا المتوسط الآسيوي، كما يقال عنه فى الغرب، يمتد بطول ٥٠٠٠ كيلومتر وعرض ٥٠٠ كيلو متر تقريبا، وهو يمتد بمضيق «ملقا» الواصل بين الهند والصين، هذين العملاقين، وشمالا بمضيق تسوجارو . وهذا المتوسط ليس بحرا، ولكنه سلسلة من السهول المائية بمساحات مختلفة، تصلها ببعضها مضائق باتساعات مختلفة، فهى سلسلة من البحار الضيقة لكل منها خصائصه، وسفنه، وتاريخه . ففي المتوسط الآسيوى ، لدينا إلى الغرب كل الساحل الصينى بالإقليم البحرى وأربعة موانئ بالإضافة إلى هونج كونج، وإلى الشرق، لدينا بحر جاوة والفلبين، وتايوان، وجزر ريو - كيوى اليابان»^(١).

وبنفس هذا المنظور الاقتصادى يرى الصينيون أن الصين تعود من خلال العملة لتكون مركز العالم فى العقود الأولى من القرن القادم إذا استمرت معدلات نموها الاقتصادى فى تصاعدها الحالى فكما يقول لاوس:

(١) مجلة الثقافة العالمية (العدد المذكور) ص ٥٧.

«بالنسبة لنا نحن الصينيين فالظاهرة التى يسميها الغربيون بالعملة أو الكونية لاتعنى شيئاً غير الأهمية المتنامية لآسيا فى التجارة العالمية وبالمحصلة تؤكد وضعها المركزى فى قلب العلاقات الدولية»^(١).

وفى أفريقيا فإن جورج تادونكى على الرغم من ذهابه إلا أنه لا بديل عن الالتجاء إلى العملة بالنسبة إلى القارة السوداء لإخراجها من حالة التهميش الذى تعانيه ولكنه مع ذلك يرى: «أن عملية إحلال الليبرالية التى تتوافر لها تكلفة اجتماعية لم تتضح جزئياً إلا بشكل متأخر، فهناك أولاً التنظيم السيئ لإعادة ترتيب أوضاع من فقدوا وظائفهم Deflates فالمشروعات التى تخصصت قامت بفصل العديد من العاملين الذين يقومون بإعالة عائلات. وحدث هذه الأمور مع نتائج تطبيقات الإجراءات الأخرى الاقتصادية، كخفض الفرنك الأفريقى عمل على مقاومة وضع الإفكار المتزايد.

وبصفة عامة، ارتفع معدل الإفلات من العدالة. فعدد الأشخاص الذين يعيشون على الاستغلال غير القانونى للسكان ولموارد الدولة يرتفع، وعمليات الاحتيال كذلك، وإنه لأمر ذو دلالة أن يهاجم المتمردون الزائريون ويضعوا أيديهم أولاً على مواقع المناجم ويتعجلون توقيع عقود الاستثمار مع الشركات الأمريكية والأفريقية الجنوبية.

والليبرالية، سباق على الكسب السهل والنصابون الكاميرونيون يغيرون على العالم. وهم يطلق عليهم الـ «فايمن Faymen» ويخلفون وراءهم الضحايا فى كل مكان فى جنوب شرق آسيا، والشرق الأوسط،

(١) المرجع السابق ص ٦٠

وأوروبا، وأمريكا وأفريقيا ذاتها ، محصلين مليارات الدولارات بمناهج جعلتهم متفردين فى بلادهم . وهؤلاء المضاربون الذين بدأوا من الصفر يجدون أنفسهم بين عشية وضحاها أصحاب ثروات حقيقية لا يسألون عن مصادرها.. وقد حذرت طبعة من الفانينشيال تايمز المستثمرين العالميين من عصابات الاحتيال النيجيرية. وشبكات الاحتيال تتشابه مع شبكات تجارة المخدرات.

وقد قادت عملية إحلال الليبرالية إلى انخفاض ملحوظ فى نوعية المنتجات الزراعية فى الريف الأفريقى، كالقهوة ، والكافو، والقطن . فبانشغالهم قبل كل شىء بالشراء يبيع المضاربون كل ما يمكنهم بيعه، بغير تدقيق^(١).

وفى الأمم المتحدة يرى تقرير التنمية البشرية المنشور لحساب برتامجها الإنمائى أن مبادئ الأسواق العالمية الحرة التى يتم الحديث عنها فى تسويق العولمة تطبق بطريقة انتقائية ولا يتفائل التقرير بوجه عام بالنسبة لآثار العولمة على الدول الفقيرة وكذلك على الطبقات الفقيرة داخل الشعوب الغنية نفسها فيذهب التقرير إلى أنه «فى كل مكان، اقتضت حتمية سياسات التحرير تقليص مشاركة الدولة فى الحياة الوطنية، مما نشأ عنه موجة من تحويل المؤسسات العامة إلى القطاع الخاص ، وأدى ذلك، عموماً إلى خفض الوظائف ، وفى كل مكان، أدى إنفتاح الأسواق المالية إلى الحد من قدرة الحكومات على إدارة حالات العجز - مما دعاها إلى تقليص الإنفاق على الصحة وإعانات الأغذية التى يستفيد منها الفقراء.

(١) أفريقيا ليست وحيدة فى العالم - الثقافة العالمية - العدد المذكور: ص ٨٨.

ومن العسير تحديد آثار العولمة على الفقر ، ووفقاً لنظرية التجارة الأساسية فإن الفقراء يستفيدون من تحرير التجارة ، وقد كانت سياسات التحرير مصحوبة في أحيان كثيرة بمزيد من التفاوت، حيث انخفضت حصة دخول أفقر نسبة ٢٠٪ من السكان، كما في الحال بالنسبة لعدد من بلدان أمريكا اللاتينية: الأرجنتين ، وشيلي، والجمهورية الدومينيكية، وإكوادور، والمكسيك، وأورغواي، وفي ١٦ بلداً من بلدان أوروبا الشرقية ورابطة الدول المستقلة، وعددها ١٨ بلداً، تدهور توزيع الدخل وزادت معدلات الفقر خلال فترة تحرير السياسات، وفي الصين ، بكل ما بلغته من نمو، فإن الحد من الفقر في المنطقتين الوسطى والغربية تخلف كثيراً عنه في المناطق الساحلية التي تعتمد على كثافة التصدير.

واتسم عصر العولمة في البلدان الصناعية بزيادة في الدخل عموماً لكنه اتسم أيضاً بارتفاع في معدلات البطالة والتفاوت، وفي عام ١٩٩٥، كان هناك ٣٤ مليون شخص بدون عمل في بلدان منظمة التعاون والتنمية في الميدان الاقتصادي - أي ما يعادل ٥,٧٪ من القوة العاملة - ومنذ عام ١٩٧٩ بلغت البطالة في الاتحاد الأوروبي أكثر من الضعف ، حيث وصلت إلى ١١٪^(١).

أما في عالمنا العربي فقد نشط العديد من الكتاب والمفكرين الليبراليين في الدعوة إلى العولمة في الوقت الذي رأى فيه البعض أن العولمة تمثل إحدى الظواهر التي لم ننتجها نحن بأنفسنا وأن هناك فاصل تاريخي بين عالمنا وعالم المجتمعات المتقدمة فيتعجب الدكتور زكي الميلاد (رئيس تحرير مجلة الكلمة) فيقول: «مع ذلك ترانا نشغل بالظواهر التي تصلنا من هناك

(١) مجلة الإحتواء - العدد ٣٨: ص ٧٧ - ٧٩

مع أنها لا واقع حقيقى لها فى عالمنا، وهناك سلسلة لا تنقطع من هذه الظواهر فى مختلف الحقول والميادين ومن أبرز هذه الظواهر من حيث الاشتغال والانتساع ومن حيث الاختلال أيضاً، ظاهرة الحادثة التى استغرقنا الحديث عنها لزمان طويل وقلبنا أشكالها وأزمنتها ومكوناتها، واتجاهاتها وعلاقتها، وأصبح ما يمكن الجزم به أن العالم العربى لم ينجز حداثته، ولم يبلور بشكل متوافق فهمه ورؤيته للحادثة، وقبل استكمال الحديث عن هذه القضية، طالعنا الفكر الأوروبى بمفهوم آخر هو مفهوم ما بعد الحادثة، وهكذا كان من المتوقع أن ينتقل الفكر العربى بنخبه وتياراته نحو الاشتغال بهذا المفهوم، وإلى هذا الوقت لا نعرف ولا ندرك ماذا نريد من ما بعد الحادثة، المفهوم الذى بقى غامضاً ومبهماً حتماً بين المثقفين أنفسهم، وفى دوامة هذا الحديث، فجأة انتقلنا إلى قضية أخرى، هى قضية العولمة بحيث أن من الصعوبة معرفة كيف ومتى بدأ هذا الاشتغال بهذا الانتساع المتعاضم فى الفكر العربى، والطريقة التى تعامل بها العالم العربى مع العولمة وكأنه هو الذى ابتكر هذا المفهوم وألجز شروطه وعناصره ومكوناته بعد هذا الاشتغال الواسع والملفت للنظر لهذه القضية.

ومرة أخرى أتوقع أن يتكرر الاختلال المنهجى والبنىوى الذى حصل مع المفاهيم والظواهر السابقة، فقل أن ننجز رؤيتنا حول العولمة وندرك أبعادها الموضوعية فى واقعنا، ونعرف ماذا نريد منها وكيف نستجيب لها، ستداهمنا رؤية نقدية مختلفة من الغرب، من قبيل ما بعد العولمة أو نهاية العولمة^(١)، على غرار المقولات السابقة، وسوف ننجر فى الحديث عن ما

(١) سوف يلاحظ القارئ أن هناك توارد خواطر عجيب كاد يطابق بين هذا النص للدكتور ذكى الميلاد ونص الدكتور محمد عمارة فى محاضراته الواردة هنا مع ملاحظة أن عدد المجلة الذى نقلنا منه نص الدكتور ذكى الميلاد هو أغسطس ٩٨ بينما ألقى الدكتور محاضراته ٣٠ يونيو ٩٨ وهى محاضرة لم تنشر فى أى مكان آخر (فى حدود علمى).

بعد العوامة أو نهاية العوامة إلى أن تصلنا مقولة أخرى من الغرب نفسه وهكذا هو الحال»^(١).

ويذكر اليسار العربي أنه وقف موقف الرفض والمواجهة من العوامة ويندد بها في العديد من الندوات والمقالات حيث يرى الدكتور اسماعيل صبري عبدالله (أحد أهم رموز الفكر اليساري) إلى أنه «في ظل العوامة قد تمكنت الرأسمالية متعددة الجنسيات من الاستغناء - إلى حد كبير - عن بعض المهام الموكولة للدولة القومية منذ نشأتها، فلم تعد الرأسمالية في حاجة إلى قوات مسلحة ضخمة وقوية، فعهد الفتوح والغزوات والاحتلال والضم قد انتهى. والعبرة اليوم بالقوة الاقتصادية للشركة متعددة الجنسية التي تمكنها من دخول أي دولة ومد نشاطها إلى أنحاء متعددة من العالم، وهي لا تواجه إلا احتمال المنافسة مع شركات من نفس النوع، وكثيراً ما تنتهي المنافسة بين شركتين إلى اندماج Merger أو استزاع Take over إحداها للسيطرة على الأخرى»^(٢).

وفي مقال آخر يكشف الدكتور إسماعيل زيف مقولة انتصار الليبرالية على أثر انهيار الاتحاد السوفيتي فيقول: «قد جبل الناس على القطيعة مع المهزوم والإعجاب بالمنتصر، وشاع القول أن انهيار الاتحاد السوفيتي دفن الاشتراكية نهائياً كما أنه أثبت انتصار الرأسمالية انتصاراً مطلقاً فلم يبق لنا إلا أن نعوض ما فاتنا بالهرولة نحو أقدام أمريكا وحلف الأطلسي، ووضح أن هذا الموقف أيديولوجي صرف، لأنه لا يستند إلى دراسة موضوعية ونقدية جادة لأسباب سقوط النموذج السوفيتي وللأزمات التي

(١) مجلة الكلمة - العدد ١٩ - ربيع ١٩٩٨م / ١٤١٩ هـ. ص ٧.

(٢) مجلة عالم الفكر - العددان الثالث والرابع: ص ٤٦٨

تهدد المجتمعات الرأسمالية المتقدمة، ونكرر مرة أخرى ما كتبناه عدة مرات من أن إقامة نظام رأسمالى متقدم ديموقراطى وبرلمانى فى ظروف اليوم يكاد يكون مستحيلاً، فنشوء وانتشار الرأسمالية الغربية ظاهرة تاريخية جرت فى ظروف تاريخية محددة لا يمكن تكرارها، ويكفى فى هذا المقام أن نذكر أن نجاح الرأسمالية استند بشكل جوهرى كما أوضحنا أعلاه، على نهب أراض جديدة تستوعب الفقراء من أوروبا وتحد بذلك من خطر الأزمات الاقتصادية والقلق الاجتماعى والانقلابات السياسية، وكذلك على استنزاف الفائض الاقتصادى من شعوب المستعمرات، فلا يجوز فصل التجربة الرأسمالية الغربية عن ظاهرة استعمار الغرب لمعظم الأقطار غير الأوروبية التى سبقت الثورة الصناعية بقرنين على الأقل وواكبتها، وما زالت عملية الاستنزاف متجددة دون حاجة إلى احتلال أو قهر، فحكومات العالم الثالث تتسابق لاسترضاء، واجتذاب من ناضلنا ضدهم باسم استقلال الوطن والتنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعى»^(١).

بينما يحمل الدكتور ماهر الشريف على العولمة باعتبارها استعماراً اقتصادياً فيقول: «إذ أن العولمة بشكل تظهرها الحالى، سياسياً واقتصادياً وثقافياً، ليست، فى الحقيقة، سوى شكل جديد من أشكال السيطرة والهيمنة، إلى درجة إلى كلمة «استعمار» صارت تلازمها كظللها: «استعمار السوق» «استعمار الصورة»، «استعمار سيبرنتى» ... إلخ.

وبغض النظر عن الشحنة الأيديولوجية التى يمكن أن تتضمنها كلمة «استعمار»، إلا أنها تعبر تعبيراً صادقاً، عن أشكال تظهر هذه العولمة، لا

(١) النهج - ربيع ١٩٩٨: ص ٣٩

سيما عندما يتعلق الأمر بـ «استعمار السوق»، السوق التي لا يحركها سوى البحث عن الربح ومعاظمتها، ولا تضبطها أية قيود ولا تخضع لأي تخطيط»^(١).

أما الدكتور رمزي زكي فيتحدث عن مخاطر الكتلة الهائلة من الأموال الهائجة قصيرة الأجل فيقول: «أصبح الاقتصاد العالمي يعوم على أمواج عاتية من السيولة الدولية التي تشكل فيضاً هائلاً من رأس المال المالي، فهناك الآن كتلة من الأموال السائلة التي تتحرك في العالم عبر مدار العام تقدر في حدود ١٠٠ تريليون دولار، في حين أن حجم التجارة الدولية لا يتجاوز حدود ٣,٥ تريليون دولار، أي ما يعادل ٣,٥٪ من تلك الكتلة، والمصدران الرئيسيان لتلك الكتلة هما أسواق النقد الدولية وصناديق الاستثمار العالمية، ومن المعلوم أن الصندوق الاستثماري هو ذمة مالية مستقلة، يدير حافظة ضخمة للأوراق المالية، ويوجد الآن في العالم حوالي ٧٧٠ صندوقاً استثمارياً بمنزلة ديناصورات تتحرك بوحشية، وبشكل سريع، وفي لمح البصر من بانكوك إلى بوينس إيرس، وهي تتعامل الآن في أصول مالية تتجاوز بكثير حجم الاحتياطات الدولية التي تملكها البنوك المركزية في مختلف دول العالم، هذه الكتلة الهائلة من الأموال الهائجة قصيرة الأجل أصبحت هي مصدر تمويل حركات المضاربة العالمية ومصدر قلق شديد لمختلف دول العالم»^(٢).

والدكتور جلال أمين أستاذ الاقتصاد بالجامعة الأمريكية يكتب العديد من المقالات المهاجة للعمولة في العديد من الجرائد والمجلات ويقرن بينها

(١) المرجع السابق ص ٤١، ٤٠

(٢) مجلة العربي يناير ١٩٩٩. ص ١١٣

وبين الأمركة ويصدر عنها كتاباً فى سلسلة إقرأ ويخصص بعد ذلك محاضره يحذر فيها من استخدام ثورة المعلومات فى قصر الثقافة الأمريكية لثقافات الأمم الأخرى فيقول فى ذلك: «إنَّ ثورة المعلومات تستخدم - لا شعورياً وأحياناً عمداً - فى قهر ثقافات الأمم الأخرى، ذلك أنه من الخطأ فى اعتقادی النظر إلى المعلومات على أنها شىء محايد ، لأن عملية اختيار المعلومة وطريقة صياغتها وبنها يكون فيها نوع من التحيز دائماً فالمسألة فى ذهنى أشبه بالمادة الكيماوية التى من أجل أن تعطىها للجسم يلزم أن تخلطها بأشياء أخرى، كذلك المعلومة من أجل أن تنتقل من ثقافة إلى ثقافة أخرى يلزم أن تختلط بالثقافة التى تصدرها، فإذا كانت الثقافة المصدرة لها غرض خداعى فإنها ستبث سموماً معينة مختلطة بتلك المعلومات»^(١).

ويذهب الدكتور محمد غابد الجبرى أن العولمة لاتمثل خطراً لمستقبل الثقافة الإسلامية وذلك لان الثقافة فى كل بلد مرتبط بما يفعله أهلها، الثقافة لا تصنع مصيرها بنفسها بل أهلها، هم الذين يصنعون هذا المصير، وهم الذين ينشرونها ويعمقونها ويعممونها، فالأمر متوقف على المسلمين وعلى العرب دولاً وأفراداً ، ومثقفين، بطبيعة الحال هناك مشاكل على صعيد التعليم ، هناك آفاق مغلقة أمام الشباب، ومع ذلك فليس هذا هو نهاية العالم، وأنا شخصياً عندما اتصل فى جميع أنحاء العالم مع الشباب من الطلاب أرى أن نخبة تتكون أوسع وأعمق من النخب الماضية وهذا يبشر بالخير^(٢).

(١) الثقافة العربية فى مواجهة ثورة المعلومات - المركز الدولى للدراسات - ص ٥

(٢) مجلة الكلمة العدد (١٨): ص ١٣٨

لكن الدكتور أحمد صدقي الدجاني يرحب بالتعامل مع العولمة انطلاقاً من موقف آخر هو ثقتنا بعقيدتنا وتراثنا ولغتنا أى حضارتنا الإسلامية التى تمثل جماع هذه العناصر الثلاث وقدرتها على المواجهة ويقول الدكتور الدجاني فى ذلك: «هذه الظاهرة موجودة فلنتعامل معها ولكن لنثق بقدرتنا على المواجهة ، فعملية محاولة إنهاء الثقافات وتنميط البشر على ثقافة غربية واحدة يقيناً سيفشل، قد يندفع البعض من الشباب فى مرحلة إلى أكل الهمبورغر مثلاً، لكنه بعد فترة قصيرة يعود إلى روعة الأطباق التى تعودها هنا وهناك، وجاءت عبر تجربة عريضة، هذا على صعيد الطعام، وعلى صعيد الثياب قد يلبس الجينز أحياناً فى فترة قصيرة، ولكن هل هناك أروع من اللباس النابع من البيئة المنسجم معها، إذن علينا أن نثق بأن هويتنا الحضارية ستكون راسخة، وخصوصاً أن الهوية دائماً جماع ثلاثة عناصر : العقيدة التى توفر رؤية كونية واللسان الذى يجرى التعبير به، والتراث الثقافى الطويل المدى .

بالمنطق الفعّال هذا نواجه هذه الظاهرة وكلنا ثقة أن قيم حضارتنا ستنجح فى التغلغل داخل دائرة تسيطر عليها العولمة وهى الدائرة الغربية، لأن فى الإنسان نزعة للتطهر، وهناك قيم فى داخل تلك المجتمعات تلتقى مع قيمنا، ولذا سيحدث تغلب لها على قيم الاستهلاك والتسلية وما تأتى به العلمانية التى لا تنظر إلى الإنسان إلا عن أنه مستهلك مادمى ليس إلا»^(١).

وهذه الرؤية الأخيرة للدكتور الدجاني هى خير مدخل إلى موضوع الكتاب.

(١) المرجع السابق ص ١٤٣.

القسم الأول

الجلسة الأولى

الإسلام والعولمة : مدخل عام اقتصادي وفكري

رئيس الجلسة : د. مجدى قرقر

المتحدث الأول: أ. عادل حسين

المتحدث الثانى: أ. د. محمد الجليند أستاذ الفلسفة بكلية

دار العلوم

المعقب : أ. طلعت رميح

كلمة الأستاذ عادل حسين

العولمة وصراعنا مع الغرب

موضوع العولمة أصبح الآن ظاهرة، وإذا كانت فكرة العولمة فى جوهرها فكرة قديمة فهى تكتسب الآن صياغات شديدة التعقيد يمكن من خلالها خداع الكثيرين بالتطورات العلمية والثقافية والإعلامية المختلفة أكسبتها قدرات أكبر فى الخداع والمراوغة.

ومن يزعمون أن العولمة تعنى العالمية، وأنها واقع مفروض ومن يرفضها يعد من المتخلفين هم أصحاب النظرة السطحية للأمور ، ومبشروا العولمة يقولون إن الدنيا قد غدت على نحو مختلف مما سبق وأن التطورات العلمية والتكنولوجية جعلت العالم متشابكاً أشد التشابك حتى غدا كالقرية الواحدة ولم يعد هناك معنى للوحدات الصغيرة والحدود القومية. وقبل أن نبحت عن أثر هذه المفاهيم على مجتمعتنا، علينا أن نقول إن هذا المفهوم غير صحيح وكافر ومضلل لأنه قد حدث فى السابق أنه مع ظهور الثورة الصناعية فإن الإنتاج قد صنع علاقات اقتصادية قوية أدى إلى تشابك الأمن فبدلاً من أن كانت كل دولة تصنع احتياجاتها الخاصة فى السابق فإن الصناعات الجديدة تخطت حدود الدول القومية، وعلى الرغم من كل هذه التفاعلات وجدت الدولة السياسية التى تضبط الحركة وتطبق القانون، ولكنهم عندما يقولون : إن العالم قد أصبح قرية واحدة ويحتاج إلى قيادة واحدة فإنهم يقصدون بذلك أمريكا ولكن علينا نحن المسلمين أن نرفض ذلك لأنه مفهوم خاطئ ومضلل لأنه على الرغم من أن هناك بعض الظواهر التى تؤيد حلمهم هذا لكنها لا تصل فى تأثيرها إلى المدى

الذى يريدونه كما أن سير الأحداث ومشيسة الله قبل ذلك - لن تحقق لهم هذا الحلم.

فمن الناحية الاقتصادية يقولون إن الشركات الاقتصادية الآن شركات عابرة للقوميات، ويقصدون بذلك الشركات الدولية النشاط التى لها فروع فى أكثر من دولة، ويزعمون أن هذه الشركات لا هوية لها أو جنسية ولا تبحث عن شيء سوى الربح، وهذا قول خاطئ إلى حد كبير فهذه الشركات لها دور بالغ الضرر والخطر ويخضع ولاؤها فى النهاية إلى الدولة التى ينتمى إليها مقرها الرئيسي، والقول بأنها متعددة الجنسيات هو قول خادع.

وهذه الشركات العملاقة التى تبلغ ثلاثمائة أو أربعمائة شركة تتجاوز ميزانيتها ميزانية العديد من الدول النامية ولا يقتصر تأثيرها على البعد الاقتصادى ولكنها تتحكم بدرجة كبيرة فى البعد التكنولوجى أيضاً، ولذلك فهم يعملون على فرض قواعد هذه الشركات على كل من يريد تحقيق التنمية والذى يكذب حياد هذه الشركات أنها فى أزمة الغرب مع إيران لم تقاطع هذه الشركات إيران من نفسها ولكن لأن حكوماتها هى التى أمرتها بذلك. ومن الكذب أن يقال إن تصدير الاستثمار والتكنولوجيا لا يخضع لغير الربح لأن التعصب العنصرى للرجل الأبيض له تأثيره الأكبر من ذلك فإن كان الاستثمار فى هولندا سينتج ربحاً قدره ١٠٪ وفى آسيا ٢٠٪ فإنهم يفضلون الاستثمار فى هولندا عن آسيا، بل إن منهم من يرفض الاستثمار فى دول العالم الثالث (مثل بعض الدول الأفريقية) حتى لا يساعد على تقدم هذه الدول، وكذلك الأمر بالنسبة لتصدير التكنولوجيا. والخطر فى الأمر أن الحكومة المصرية قد خضعت تماماً

لبعض هذه الشركات وقدمت لها تيسيرات كبيرة رغم تحذيراتنا المستمرة من خطورتها وكل ما يقال عن أن هذه الشركات ستجلب الخير لمصر كلام غير صحيح وكاذب وكذلك ما يقال عن كوننا فى عالم جديد تحكمه هذه الشركات متجاوزاً بذلك خلافاً الماضى هو محض أكاذيب ، ولكن كثيراً من الناس عندنا يصدقون هذا الكلام فما يقولونه عن ثورة الاتصالات وتبادل المعلومات عن طريق الأقمار الصناعية وأطباق الاستقبال والإنترنت هو فى الحقيقة ثورة رهيبة ولكن هل حدث بالفعل تبادل فى المعلومات؟ لو صدق هذا لكان ما يعرفه الإنسان فى إنجلترا عن بلادنا هو بقدر ما يعرفه الإنسان فى بلادنا عن إنجلترا ولكن الذى حدث أنه أصبح ما نعرفه الآن عن أمريكا وإسرائيل وإنجلترا أكثر مما نعرفه عن سوريا أو اليمن أو تونس أو أى من الدول الإسلامية الأخرى فالإعلام يحمل غسلاً للأدمغة ويسعون من خلاله لمحو تراثنا. وكل يوم يفتتحون محطات جديدة للسيطرة الإعلامية الكاملة، فهم يوجهون المعلومات ويشوهون التحليلات وينشرون الفجور ويسعون لطمس ديننا وهويتنا. واليهود يركزون تركيزاً خاصاً على الإعلام والسينما، ووسائل التثقيف، فهذا الإعلام العالمى الذى تمثله العولمة تحكمه أمريكا وإسرائيل فى النهاية، وهو لا يجلب خيراً لنا وإنما دماراً لشعوبنا.

/ والهدف الأساسى من العولمة هو أن يسيطروا على كل المستضعفين وعلى أمة الإسلام بوجه خاص وإذا كان هذا الهدف هدفاً قديماً فإنهم يعملون الآن على الاستفادة من التطورات العالمية التى حدثت من أجل تحقيقه، ولكن التطورات المتوالية لم تساعدهم كثيراً فى ذلك، فقد كان من

المتصور أن تلعب أمريكا دور الحكومة العالمية، فثبت أن بالعالم قوى كثيرة، كتلاً لا يستطيع إلغاؤها مثل الصين واليابان ودول جنوب شرق آسيا.

ولذلك فإننا فى عالم اليوم ينبغى أن نحرص على ضرورة تكتل المسلمين إننا ينبغى أن نكون الأتقى والأرسخ فى عالم اليوم ونحن إذا تخلفنا فلن ينقذنا غيرنا، وينبغى أن نقيم كتلتنا ونواجه الآخرين بها وبغير هذا التكتل لا نكون قد أقمنا الوحدة التى أمرنا الله بها وحملنا الأمانة التى حملها الله إيانا.

ومن حيث المبدأ فإنه حين يقال إن العالم سيكون عالماً واحداً تحت هيمنة دولة واحدة وأن ذلك سوف يشمل الجوانب الثقافية والحضارية فإننا ينبغى أن نرفض ذلك من منطلق إسلامى، فإنه من المنظور الإسلامى فإن الله قد خلق البشر مختلفين، ونحن نؤمن أن البشر لا يمكن أن يكونوا وحدة واحدة.

إذن سيكون هناك دائماً حزب الله وحزب الشيطان وسيبقى دائماً الحزب الذى يسعى دائماً لتحقيق شرع الله فقد خلقنا لنكون خير أمة أخرجت للناس ولهذا فإذا كان ما يحمله الغرب الآن من حضارة وما يثبه من ثقافة هو حضارة وثقافة الشيطان التى تحض على الكفر فإننا سنظل معتصمين بكل قيمنا التى يعتبرونها تخلفاً لأن تقدم الأمم الحقيقى ينبغى أن يقاس بمدى تقدمها إلى الله سبحانه وتعالى.

ولا يعنى ذلك إسقاط التقدم المادى الذى لا بد منه ولكنه المعيار الثانى بعد الاعتصام بالله ونحن الآن أشد تصميماً على موقفنا من ذى قبل لأن

من يعادون الإسلام ازدادوا شراسة، ونحن نرفض عولتهم التي تزعم أن الفروق بين الأمم قد انطمست فيها هو ضرب المسلمين في العراق وغيرها مستمر، فأى عولة نصدقها؟!

إننا سنحارب أضيالهم وقبضتهم التي يحاولون بها التحكم فينا، وإذا كتب علينا كمسلمين أن نقاتل لانتزاع حقنا سيكون ذلك؛ فنحن كمسلمين في خط الصدام الأول للدفاع عن كلمة الله، ولكن إعلاء كلمة الله ليست بالعبادة فقط، ولكن بالعمل الصالح والجهاد التنموي، وإقرار العدل والعمل على أن تكون الشعوب إخوة، ونرجو أن يكون المسلمون قوة مع القوى الأخرى وهذا بإذن الله ممكن، وقد وعدنا الله النصر وإظهار دينه والمؤشرات تؤكد أن وعد الله بنصر المسلمين يبدو في الأفق وبشائر النصر تهل بإذن الله.

المسلمون وفقه السنن الإلهية

معالم النهوض في القرن القادم

أ.د/ محمد السيد الجليلند

إن تاريخ الحضارات الإنسانية يفرض على المسلمين في عصرنا هذا أن يعيدوا قراءة تاريخهم المعاصر وعلاقتهم بالحضارات الأخرى أخذاً وعطاءً، ذلك أن مسيرة التاريخ الحضارى للبشرية توجب علينا أن نستخرج من هذه الحضارات أسباب قيامها وعوامل انهيارها، وازدهارها وانحطاطها كيف قامت ولماذا بادت وانمحت ولم يبق من معظمها إلا الأثر بعد العين، والعبرة التاريخية بعد واقعها المادي، تلك قضية على جانب كبير من الأهمية لفت القرآن الكريم نظرنا إليها في صورة الأمر الإلهي الذي يحمل معنى الفرض العيني في بعض الأحيان، قال تعالى: «قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ» ، وإن هذه السنن كانت تتمثل آثارها في اتجاهين متضادين .

واتجاه آخر من السنن الكونية يجسد لنا عوامل انهيار الحضارات وإبادتها قال تعالى : ﴿وَكَايْنٍ مِنْ قَرْيَةٍ وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْسَ مَعْطِلَةٌ وَقَصْرٌ مَشِيدٌ﴾ ، (الحج - ٢٢) «أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدُّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٨٣) فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكُفِّرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (٨٤) فَلَمْ

يَكُ يُنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللّٰهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ
(٨٥) ﴿٨٥﴾ (غافر - ٨٣، ٨٥).

ولقد تكرر ذكر ذلك في القرآن الكريم كثيراً خاصة في القرآن المكي يبين لنا خلال عرضه لأسباب قيام الحضارات في الأمم الماضية وأن أسباب هذه الحضارات إذا توفرت قامت عليها الحضارة وسادت وأثمرت وتركت أثرها في مسيرة التاريخ.

وأهم هذه العوامل التي نبه إليها القرآن. هو عامل الإيمان والاعتقاد الصحيح وما يترتب على هذا الإيمان من سلوكيات أخلاقية وعلاقات اجتماعية تحكم حركة الحياة للفرد والجماعة على سواء، وعنصر الإيمان هو السبب الفاعل في قيام أى حضارة تركت أثرها في مسيرة التاريخ.

ولعلك تجد مصداق ذلك في الواقع الحضارى للأمم، فلم تجد أمة من أمم أهل الأرض خالية من التعبير عن إيمانها وعقائدها بما شاءت من الشعائر والطقوس التى تجد فيها راحتها النفسية وغذائها الوجدانى ، لا تجد أمة بلا معبد أو كنيسة أو مكان تقديسه تلتمس فيه علاقتها الطيبة بمصدر إيمانها وملهم اعتقادها، سواء صحت لها هذه العقيدة فى منطق العقل أو فسدت وسواء كان لعقيدتها صلة بوحى السماء أم كانت من صناعة حكمائها وقديسيها، تلك قضية فرضت نفسها على الواقع الحضارى للبشرية وينبغى أن يعى ذلك تماماً المربون والمصلحون وألو الأمر فى رسم الخطط والمناهج التربوية حتى لا يحدث نوع من الانقصاص بين شخصية الإنسان وحاجاتها الضرورية وما تمليه هذه المناهج التربوية عليهم.

ولما كان الإيمان هو السبب الفاعل فى تأسيس الحضارات وازدهارها فإن

غياب الإيمان أو محاربته ومصادمته هو أيضاً السبب الفاعل فى انهيار الحضارات وانحطاطاتها، ذلك أن غياب الإيمان والاعتقاد الصحيح يترتب عليه سيادة قيم ومبادئ اجتماعية وأخلاقية تجسد الجوانب الدنيا فى الطبيعة البشرية، فيسود منطق الأثرة والأنانية بدلاً من الإيثار والمحبة، ويحل الظلم ويغيب العدل، ويرتفع كل معنى أخلاقى نبيل ليسود منطق الغاب وسيادة الأقوي، تأمل معى حال مجتمع يعيش أفراده تحت سيادة هذه المبادئ اللاأخلاقية، ثم ماذا يكون حال العلاقات بين الدول إذا أخذوا بهذا المنطق فى علاقات الدول الكبرى بالدول الضعيفة ، وهذا هو الواقع المعاش الآن، فإن الدول الضعيفة تكتوى بنار هذا المنطق المعكوس فى تعامل الدول الكبرى معها حيث سطت هذه الدول على خيرات العالم الثالث سلباً ونهباً وإذا وجدت من يقاومها فإن القتل والتشريد وسيلة الخلاص منه.

وقد اخترع الغرب عبارة رخيصة يغلف بها هذا المسلك اللاأخلاقى فأسمى احتلاله للأوطان استعماراً وأسمى نهبه وسطوه على مقدرات الشعوب علاقات دولية أو مصالح دولية، هذا هو منطق الغرب المتحضر، وهذا لون من ألوان الحضارات ومنهجها فى التعامل مع الآخر، ومصدر قوتها وسر عظمتها يرجع إلى اعتصامها بالعلم وادعائها أن العلم كاف فى خلود هذه الحضارة وأنه سلاح تسود به الحضارات الأخرى .. وهنا لابد أن نستحضر الآية الكريمة التى سبق أن سقناها ﴿وَأَفْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدُّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٨٣) فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ

مُشْرِكِينَ (٨٤) فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَاسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ (٨٥) ﴿غافر - ٨٢، ٨٥﴾.

وتأمل معنى منطق الآية الكريمة ﴿فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ والفرح هنا ليس مجرد التعبير عن السرور النفسى وإنما هو الغرور الشيطاني الذى حذر منه القرآن الكريم فى تحذيره لقارون ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ فلقد اغتر هؤلاء بما عندهم من العلم كما يغتر أبناء عصرنا بما عندهم من العلم ونسوا أن العلم هو وسيلة بناء الحضارات وازدهارها وأنه هو نفسه قد يكون سبباً فى انهيارها وإبادتها ومن هنا جاء الأمر الإلهى بالقراءة المقرونة باسم الرب الخالق وليس بالقراءة المبثورة عن الخالق قال تعالى : ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ﴾ فقراءة الكون واكتشاق أسرارهِ وقوانينهِ يجب أن يكون فى أحضان الإيمان بالرب الخالق حتى إذا ما أحسن الإنسان قراءة الكون وتعرف على قوانينهِ فإنه يوظف هذه القوانين العلمية توظيفاً إيمانياً يسعد بها الإنسان ولا يشقيه فيكون العلم مصدر أمن وأمان للإنسان وليس مصدر خوف وشقاء وهذا هو الفرق بين العلم المؤمن والعلم الكافر لقد اكتفينا باجتراح الأمجاد الماضى بدلاً من صنع الحاضر وبناء المستقبل ولا يخالجنى شك فى أن السبب الرئيسى فى هذا القصور والتقصير الذاتى يقع إثمهُ على نمطين من فئات المجتمع فى عالمنا الإسلامى.

١ - النمط الأول هم العلماء الذين اكتفوا من العلم بالحفظ والتحصيل ولم يترجموه إلى واقع يحيا به المجتمع، لأن هذه هى وظيفة العالم ولا أقصد بالعالم هنا رجل الدين وإن كان هو يمثل القوة المحركة لكل صاحب رأى والمرشد الأمين للعالم الكونى لكى يحسن توظيف علمه.

٢ - أما النمط الثاني فهم الأمراء يوم أن سلبوا العالم هيئته ومكانته الاجتماعية وبالتالي سلبوه قوة تأثيره في القلوب فلم يعد له في المجتمعات مكانة ولا بين الناس هيبة وفقد كلامه أثره في تحريك القلوب ، إن هذين النمطين من فئات المجتمع هما قطب الرحى - ولذلك كانت أسس التحضر أو التأخر ترتبط بالأثر الثقافى والسياسى الذى يقوم به هذان النمطان فى المجتمعات .. أثر العالم وأثر الحاكم. فآثر العالم يتيح للمجتمع أن يسود فيه منطق العلم ومحاربة الجهل، يسود منطق التقدم ويتراجع منطق التأخر، ومعلوم أن العلم هو مفتاح كل تقدم لشعوب أهل الأرض، وما تقدم الغرب إلا بمنطق العلم وما تأخر المسلمون إلا بابتعادهم عن منطق العلم، وأن المشكلات التى صاحبت المجتمع الإسلامى فى القرن المنصرم ينبغى أن يسعى المسلمون جاهدين إلى التخلص منها قبل دخولهم القرن القادم وأول ما يجب أن يأخذوا به للتخلص من هذه المشكلات أن يصارحوا أنفسهم بهذه المشكلات بدلاً من الهروب منها، وهنا أحب أن أضع أمامنا بعض القضايا كمفاتيح لدخول القرن القادم.

أولاً : فقه السنن الإلهية فى الكون .

ثانياً : تسييد منطق العلم فى شئون الحياة ، اجتماعياً وثقافياً وسياسياً وإعادة العالم إلى مكانة الصدارة فى المجتمع .

ثالثاً : جمع الصف الإسلامى الممزق تحت أى مسمى من المسميات.

رابعاً : حسن استغلال الثروات الكونية التى أنعم الله بها على المنطقة الجغرافية للعالم الإسلامى.

خامساً : فتح أبواب الحوار مع الآخر وأخذ النافع منها والإفادة من خبراته.

سادساً : إزالة العوائق أو الحواجز النفسية بين المؤسسات الحاكمة فى العالم الإسلامى .

فقه السنن الإلهية:

إن لله تعالى قوانينه التى تحكم حركة الحياة فى المجتمع، ومن شأن هذه القوانين أن تأخذ بهذه المجتمعات إلى مكان الريادة والصدارة، فتسود ويسود معها أخلاقياتها ومبادئها وعقائدها، وإذا كانت هذه المبادئ تعتمد فى أسسها على عقائد صحيحة كان لها الخلود والدوام وهذا ما تميزت به مبادئ الإسلام فى تأسيس حضاراته وبناء مجتمعاته فإن هذه المبادئ تستمد قوتها من قوة الاعتقاد وصحته، وترتبط به وجوداً وعدمياً، فكل حركة فى بناء المجتمع ترتبط بالعقيدة الإسلامية ابتداءً من عقيدة التوحيد التى هى أصل الإيمان، وانتهاء بإمادة الأذى عن الطريق، مروراً ببناء الأسرة ونظام الحكم والعلاقات الاجتماعية بين الأفراد وكلها منضبطة بنصوص تحكمها وتربطها بأصل الإيمان، وإذا تخلف أى سلوك سياسى أو اجتماعى عن أن يستمد قوته من أصل الإيمان فقد تخلف قدر من الإيمان بقدر ابتعاد هذا السلوك عن أصل العقيدة وكلام العلماء فى ذلك مستمد من موقف السلف الصالح فى أن الإيمان يزيد بالطاعات، وارتباط السلوك بالعقيدة كما ينقص الإيمان بالمعاصى وابتعاد السلوك عن أصل الإيمان.

هذه قضية على جانب كبير من الأهمية لها أثرها فى بناء الأمم ، أو انهيارها ولقد لفت القرآن نظرنا إلى أن ذلك الارتباط بين سيادة منطق الإيمان وبناء الأمم ارتباط عضوى قال تعالى : ﴿ وتلك القرى أهلكتناهم لما ظلموا ﴾ ، ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرد منكم عن دينه فسوف يأت الله

بقوم يحبهم ويحبونه ﴿١﴾ ، ﴿الذين أن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة
وأتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾ ، ﴿لعن الذين كفروا من
بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا
يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه﴾ والآيات القرآنية فى هذا الباب
كثيرة ومتنوعة وكلها تنذر بفناء الأمم إذا هى ابتعدت فى مسيرتها عن منهج
الله فى عمارة الكون، وليست هذه الأمة الإسلامية بدعا فى ذلك فإن
منطق السنة الكونية لاعلاقة له إلا بحلول الأسباب فتحل معه السنة الكونية
وترتبط به ارتباط النتائج بأسبابها، وتاريخ الحضارة الإسلامية دليل واقعى
على صحة هذه السنن التى لا تختلف أبداً فيوم أن ساد منطق الإيمان فى
السلوك والعلاقات الاجتماعية وفى نظم الحكم توفرت عوامل بناء
الحضارة فأقام المسلمون حضارتهم التى أنارت للبشرية طريقها إلى عصر
النهضة الذى نعيشه علماً وفكراً وثقافة، لأنهم آمنوا أن مفتاح التقدم العلم
بهذه السنن، وأن من سنة الله فى خلقه ارتباط الأسباب بنتائجها فاكشفوا
القوانين وأدركوا العلاقات ووظفوا العلم لصالح الإنسان، ولما انتقلت هذه
الحضارة إلى أوربا جردوها عن منطق الإيمان ووظفوا العلم بمنطق شيطاني
ليسيطروا به على مقدرات الشعوب فأصبحت حضارتهم خالية من روح
الإسلام أو أن شئت من نور الوحي فوظفوا العلم لدمار العالم بدلاً من
إعمارهم، وإلا فحدثنى بربك، ما معنى أن يرصد فى ميزانية هذه الدول
الصناعية مليارات الدولارات لصناعة الصواريخ والقنابل النووية
وأسلحة الدمار.

وما معنى أن ترصد هذه الميزانية الضخمة لريادة الفضاء وشعوب الأرض
لا تجد ما تقتاته وما معنى هذا السباق المحموم فى غزو الفضاء، وأهل
الأرض يبيتون فى العراء.

وما معنى أن تخضع المنظمة الدولية لإرادة الدول التى تمتلك هذه الأسلحة المدمرة فتشرع القوانين لصالحها وتحرم على غيرها ما تبيحه لها، إن هذا الخلل الكونى يرجع فى أسبابه إلى سيادة منطق الحضارة الفارغة من معنى الإيمان، سيادة المنطق الإلحادى الذى لا يعرف للإيمان معنى ولا للأخلاق مكانة ولعل عبارتهم الشهيرة تجسد فلسفة هذه الحضارة، لا أخلاق فى السياسة ولا سياسة فى الأخلاق، قل لى بربك ماذا تكون إذن هذه السياسات، التى تستبد بأهل الأرض فى زماننا.

إن القرن القادم يجب على المسلمين أن يدخلوه بهذه المنطق الحضارى المؤمن لينقذوا البشرية من تدميرها بسلاح العلم الملحد إن هذا الصوت ينبغى أن يدوى من فوق منبر الأمم المتحدة، أوقفوا توظيف العلم بمنطق الشيطان، ووظفوه بمنطق الإيمان، إن هذا الصوت هو نداء السماء لأهل الأرض ﴿أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثاراً فى الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون، فلما أتتهم رسالهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾.

إن الذين يملكون مفتاح النجاة للبشرية من سطوة سلاح العلم وسوء توظيفه هم أهل الإيمان بالوحي السماوي، أتباع كل دين ولا نجاة للبشرية، إلا بإعادة النظر فى توظيف نتائج العلم بمنطق إيماني.

العلم والعلماء:

لا يشك عاقل فى أن منطق العلم هو مفتاح كل تقدم اجتماعى وسياسى وثقافى ولا بد أن يطرح الإنسان على نفسه سؤال ضروري، ما مكان العلم

والعلماء فى الغرب؟ وأين مكانة العلم والعلماء فى المجتمعات الإسلامية؟

وينبغى أن يفهم العلم هنا بالمعنى العام الشامل لعلوم الدين والدنيا معاً ذلك أن التفرقة بين النوعين من العلوم لا معنى لها فى الإسلام، إلا من حيث الدرس والتحصيل والتوظيف فإن العالم المسلم كان هو الطبيب والمهندس والمعماري والرياضي... إلخ.

وكانت صفة الخلفاء وجلسائهم من هذه الصفوة من المجتمع وكانوا هم مستشاريه وأصفيائه، ولذلك كانت مكانتهم الاجتماعية محفوفة بالهبة والوقار وكان العالم نفسه يأبى وتأبى عليه نفسه إلا أن يكون كذلك. فكان الحاكم يخطب وده ويسعى إليه أينما كان مجلسه ولا يسعى هو إلى الحاكم. لأن هيئة الحكم وسلطانه كانت تستمد من مكانة هذه الصفوة المختارة، وكان رأى العالم هو سند الحاكم فى قراراته، وإذا كانت سيرة الخلفاء فى تاريخنا ترتبط فى الكثير من جوانبها بصلتهم بالعلماء، فإن سيرة العلماء فى العصور التالية أخذت منهجاً آخر، حيث حلت القطيعة بدلاً من الود والاتصال وتبدل الصفاء بجفاء وظهرت كلمة السيف والسلطان لتختفى كلمة العلم ومنطق العلماء، وتبع ذلك تبدل أحوال المجتمعات، سلوكاً وفكراً وثقافة لأن لكل نظام ثقافته التى تؤيده وتعاضده.

توحيد الصف الممزق:

جاء الإسلام ليوحد العرب من فرقته المقاتلة فجمع كلمتهم حول إله واحد وعلمهم بل دربههم على تبنى النظام وهجر الفوضى وتوحيد الصف

وهجر الفرقة وإن فى العبادات والشعائر والطقوس الدينية تدريب على الوحدة والنظام، وجاء الأمر الإلهى صريحاً فى قوله تعالى : ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً﴾ ولقد علم الرسول أمته كيف يحرصون على خلق هذه الوحدة، حتى وإن كانت غائبة ولعل المثل الفريد فى تاريخ البشرية خير معلم للمسلمين كيف يتحدوا ما حدث فى قصة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار وكيف تعامل الأنصار مع المهاجرين بأسلوب الأوانى المستطرفة فلم يحس المهاجرون بقسوة الحرمان أو فقد المال ومفارقة الأهل والخلان، وكل شيء فى الإسلام يدعو المسلمين إلى الوحدة فى نصوصه وفى سيرة الرسول وصحابته نماذج القدوة والأسوة الحسنة ولكن للأسف الشديد ، فإن واقع المسلمين وما هم عليه يدعو إلى الحسرة وإلى اليأس أحياناً، وعليك أن تجول بناظريك فى شتى أنحاء المعمورة فهل تجد على ظهر الأرض شعبين مسلمين متجاورين ألا وبينهما من العداة والخلافات ما يعجز عنه الحكماء، ولا تبادرنى بالحجة الواهية أن ذلك من فعل الاستعمار ودسائسه فلو لم تكن التربة قابلة للانفعال بهذه الدسائس لما حل العداة محل الإخاء ولما سيطر منطق الخلاف وغاب منطق الوفاق.

ربل أن ظهور العولمة وما تستتبعه من سيادة مبادئ وثقافات وأفكار جديدة تدعو المسلمين إلى أن يأخذوا الأمر بمنطق الجد ويتخلصوا من هذا العبث الذى يعيشون فيه ويعلموا أن الأمر جد وليس بالهزل، فلا بد من أمر جامع يلتف حوله المسلمون سياسياً واقتصادياً وثقافياً واجتماعياً وإلا فإن هويتهم إلى فناء .

ثروات المسلمين من يستغلها :

بلغ تعداد العالم الإسلامى مليار وربع المليار نسمة أى خمس سكان المعمورة وثرواتهم من البترول والذهب والزراعة والمعادن الأخرى تكفى لأن تجعل من العالم الإسلامى قوة اقتصادية كبرى يخشى العالم بأسرها ويخطب ودها وهذا أمر لا يخفى على أحد ولعل حرب الخليج الأخيرة وما كشفت عنه من خبايا وأسرار يعطى المنطقة العربية ثقلها الدولي، ويكشف للمسلمين كيف يترصد العالم بخيراتهم والأمر يحتاج إلى إعادة ترتيب الأوراق فى العلاقات والأولويات فى المصالح الدولية وأن يعلم الجميع أنه ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ وليس معنى هذا قطع الصلة بهذه الدول ولكن تكون العلاقة على قدر المصلحة وألا تترك ثروات الأمة كلاً مباحاً يتقوى به أعداء الأمة يصنعون به أسلحة الدمار التى تفتك بشعوبنا الإسلامية أن استغلال الثروات فى العالم الإسلامى يحتاج إلى إعادة النظر وأن نوضع الشروط للشركات والدول التى تستغل هذه الثروات فى ضوء علاقات هذ الدول بإسرائيل وفى ضوء مصالح هذه الشعوب الإسلامية حتى ندخل القرن القادم ونحن نمثل قوة اقتصادية لها وزنها فى مسيرة التاريخ، فهل من الحكمة أن تعطى الأولويات فى استغلال هذه الثروات لشركات يهودية تساند إسرائيل وتستخدم هذه الثروات فى إذلال الشعوب الإسلامية، كيف يكون للمسلمين إذن قوة اقتصادية كيف يكون لهم هبة ، إننا يجب أن ندخل القرن القادم وقد تخلصنا من هذه العبيثات التى تجعلنا أضحوكة فى نظر العالم .

الانفتاح على الغير:

لم يعد العصر الحاضر يسمح بالانغلاق على الذات وإهمال ما يجري خارج العالم الإسلامى أو التغاضى عن ملاحقة التطور الهائل أو السقف السريع وراء معطيات العلم الذى لا نملك معه إلا محاولة اللحاق به.

وينبغى أن نعترف بأننا فى مؤخرة الركب مسائرة للعلم الحديث فلا نحسن إلا استهلاك أدواته التى لا نصنعها ولا نجيدها فهم أسرار هذه الأدوات، من هنا وجب أن نفتح أبوابها فنلقى هذا العلم عن أهله ونجيده فن الإنصات والفهم والتطبيق، وهذا مطلب يدخل فى نطاق الأوامر التكليفية التى قد تصل إلى الفرض العيني، إننا فى حاجة إلى الحوار مع الآخر أكثر من حاجته إلى الحوار معنا، وما لم تفتح عقولنا وقلوبنا للأخذ عنه والنقل منه لكل علم نافع ومفيد فسوف تتسع الهوة بيننا وبينهم، ولا يجوز التعلل فى ذلك بأى منطق يحمل معنى التمنطق بأننا مسلمون وهم غير مسلمين فليس فى ظاهر الشرع ما يمنع من الأخذ عن الغير لكل نافع ومفيد، ولقد أخذ الغير عنا يوم أن كنا مصدرراً ومنبعاً لهذا العلم فليس فى ذلك ما يعاب علينا أن نتعلم منه ونأخذ عنه وفى تاريخ الإسلام ما يدفعنا دفعاً لأن نفتح عقولنا وقلوبنا لكل وافد ومفيد للغير، فقد أوصانا رسولنا الكريم أن نطلب العلم ولو بالصين، ومعلوم أن العلم فى حياة الرسول لم يكن علماً دينياً شرعياً، وإنما كان علماً دنيوياً كونياً قال تعالى: ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾ ومن سنن الله فى كونه أن الحضارات يأخذ بعضها عن بعض ويؤثر بعضها فى بعض قال تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾

والحوار بين الشعوب والحضارات هو لغة التعارف بينها، من هنا وجب علينا أن نفتح عقولنا للحوار مع الآخر من خلال منهج علمي رشيد.

مصلحة الشعوب أولاً:

إذا عرفنا أن الراعى مسئول عن مصلحة الرعية كان علينا أن نجعل مناط العلاقات الدولية بين الحكومات هو مصالح شعوبها وليس شيئاً آخر وراء ذلك من الأيدولوجيات الاقتصادية أو السياسية أو الثقافية، إن العلاقات الشخصية بين المؤسسات الحاكمة ينبغي ألا تكون مدخلاً لإفساد علاقات الشعوب الإسلامية وأن ينحى جانباً منطق العلاقات الشخصية للحكام عن مسار علاقات الشعوب ومصالحها .

إننا إذا تأملنا واقع العالم الإسلامى ومصالح شعوبه نجد أن هذه العلاقات تتوقف تماماً على نوع علاقات الشخصيات الحاكمة فإن ساءت العلاقات الشخصية للحكام ساءت علاقات الشعوب تبعاً لها أو ينبغي أن تكون سيئة والويل كل الويل لمن خالف هذه العادة القبيحة التى لا وجود لها إلا فى عالمنا الإسلامى، فإذا كانت علاقة حاكم على قدر من السوء مع حاكم آخر، تبع ذلك بالقوة والغلبة علاقة الشعوب، ومن خرج على ذلك كان عميلاً وخائناً مع جهات أجنبية ضد مصلحة الوطن، ونتج عن ذلك أن حاول بعض الحكام أن يربط بين مصالح شعبه ومصلحته الشخصية فاخترل شعبه كله فى شخصه هو واختزل مصالح شعبه فى مصلحته هو وبات الشعب مقهوراً مغلوباً على أمره ولا حيلة لنا إلا الإذعان لإرادة الحاكم وإن كانت فى معظم الأحيان ضد إرادة الشعوب، إن هذه الظاهرة المتفشية فى العالم الإسلامى ينبغي أن تتخلص منها تماماً لتتحد إرادة الحكام

مع إرادة الشعوب، وتكون مصلحة الشعوب هي مصلحة الحكام ليدخلوا القرن القادم في وحدة وانسجام ويتعلموا من الشعوب الأخرى كيف تكون اللامسات الحاكمة معبرة عن إرادة شعوبها ومصالحهم فإذا أضفنا إلى كل ما سبق ما يملكه الإسلام من عناصر الخلود التي أسس عليها حضارته كان لنا أن نشعر بالمسئولية الكبيرة التي نفخر بها أمام أصحاب الحضارات الأخرى، فإن حضارتنا تملك عناصر الخلود إنها حضارة إنسانية عالمية وليست إقليمية، تتسم بالشمول والإحاطة بكل جوانب الحياة الإنسانية المادية منها والروحية أيضاً إنها لا تفرق بين جنس وجنس ولا بين لغة ولغة ومقياس التفاضل فيها ، ليس نسباً وجنساً بل كلكم لآدم وآدم من تراب وإنما هو كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ إنها حضارة ترسم خطى الأخلاق الفطرية فلا تتصادم مع فطرة الإنسان، وإنما تكملها وتغذيها .. لاتصدم لاتتصادم العقل والعلم وإنما ترشدهما وتغذيهما وتعزدهما.. شعارها العلم النافع والإيمان الصادق غاية الإنسان وإنما كان بصرف النظر عن جنسه ولونه. إن القرن القادم ما لم يشهد تحولاً جذرياً نحو منطق الحضارة الإنسانية التي يحمل لواءها الإسلام فالويل للبشرية من أهداف ومقاصد الحضارة الغربية التي لا تعرف لها ديناً ولا خلقاً، قال تعالى : ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازِيدَتْ وَظَنَ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا وَنَهَارًا فَجْعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَكُنْ بِالْأَمْسِ﴾.

تعقيب الأستاذ طلعت ربيع

فى حديث الدكتور الجليند ركز على الأبعاد التاريخية للمشروعات والمخططات ضد العالم الإسلامى ، وشرح الأستاذ عادل حسين فى حديثه المفهوم الساذج الذى يحاولون الترويج له بشأن العولمة وحدد مخاطرها وشرح ضرورة تكتل العالم الإسلامى لمواجهة العولمة ومن وجهة نظرى فإن العولمة ما هى سوى شكل جديد من أشكال الاستعمار التى شهدتها العالم، حيث اتخذ الاستعمار أشكالاً مختلفة ، حيث بدأ بأشكال الاحتلال العسكرى ثم التطورات التى نعرفها جميعاً، فجوهر الفكرة الاستعمارية تكمن فيما يطرح الآن باسم العولمة فاستعباد الشعوب قائم ولكنه يأخذ بمكتسبات العلم والتطورات الاقتصادية ويحاول صياغة مفهوم جديد للاستعمار لا يخرج عن جوهره الأساسى.

ومع ذلك فيجب أن نتساءل عن كيفية استفادة المسلمين من الظواهر الموضوعية التى يرتكن الغرب إليها بشكل خاطئ ففىما يتعلق بالعولمة فالفكرة الرئيسية التى ينبغى التفكير فيها هى تحدى فكرة العولمة بالصياغة المطروحة علينا والتى يحاولون العبث بعقولنا حتى نقبلها، ولكن لا يمكن تجاهل أن هناك أشياء موضوعية حدثت بالفعل يرتكنون إليها لتبرير مخططاتهم بطرح مفاهيم مغلوطة من أجل تغيير بنيتنا العقلية ويشنون حرباً ضد عقيدتنا وأفكارنا وثقافتنا. والسؤال التحدى هو : كيف نستفيد من المعطيات الجديدة فى الاتصال والصراع والاحتكاك المالى؟

فتجاهل حدوث ظواهر جديدة فى العالم يمكن أن ينتج عنه بالتأكيد فإن تجاهل حدوث ظواهر جديدة فى العالم يمكن أن يحدث عنه أخطار

شديدة جداً. سواء فى الجزء الخاص بالنفوذ المالى والوضع الوثيق بين حركة رؤوس الأموال والشطط الحادث الآن فى محاولة دمج اقتصادات العالم بالعسف والقوة واستغلال النفوذ المالى مما أدى إلى أن دولاً مثل ماليزياً وأندونيسيا قد حدث بها ذلك الانهيار المالى الشديد لأنه لم يكن هناك رؤية وفطنة لخطورة ذلك النموذج للسيطرة الاقتصادية للدول الغربية على مراكز النفوذ والتجارة والمال وكيف تم من خلال بعض الخطط والمؤامرات توجيه ضربات شديدة لتجربة جنوب شرق آسيا، ونفس الأمر يحدث الآن بالنسبة لليابان فما نراه من مشكلات فى الاقتصاد اليابانى يرجع إلى التدخلات والنفوذ المالى فى هذه الدول .

ونفس الأمر بالنسبة لحربى الخليج سواء بالنسبة لحرب الخليج الأولى باعتبارها كانت مؤامرة استعمارية من قبل الدول الغربية ضد العراق وإيران. أو الحرب الثانية لأنه لو كانت هناك حسابات دقيقة لتغيرت الموازين على مستوى العالم وكان التفكير سيكون مختلفاً بالنسبة للعراق. لذلك فالنقطة الأولى ليست فقط كيف نتحدى هذا المفهوم بل كيف نواجهه؟ والسؤال هو هل يمكن أن يكون هناك أثراً إيجابية لهذا الوضع الراهن على مستوى العالم؟.

فأنا أفترض أن أوضاع الاتصالات الآن من الإنترنت ربما تهيئ فرصة للمسلمين بأن ينشروا أفكارهم وعقائدهم وأن ينقلوا ساحة الاحتكاك الحضارى من رسالة قادمة إلى رسالة موجهة إلى الشعوب الغربية من أجل التأثير على أفكارهم فالمشكلة إذن كيف ندرس استثمار هذه الظواهر الجديدة التى يحاولون أن يفرضوا من خلالها الآراء والتصورات التى تخدم مصالحهم.

النقطة الثانية: فإنه قد ثبت بالتأكيد أنه بعد انتهاء فترة الثلاث سنوات التي أعقبت حرب الخليج أن كل ما قيل عن أن العالم أصبح عالماً واحداً بقيادة أمريكا غير صحيح وثبت ذلك أيضاً بحكم التكتل الأوربي الصاعد في مواجهة النفوذ الأمريكي وبحكم ما حدث في جنوب شرق آسيا وأيضاً النمو والتفاعل المتصاعد بين الدول العربية والإسلامية لتكوين شكل من أشكال التضامن لكن مع ذلك هناك تطورات يجب أن نضعها في الاعتبار.. ففكر الدولة الأمة بالحدود والتصورات الجيوستراتيجية التي كانت قائمة من قبل أصبحت تحتاج إلى تفكير ومراجعة ودليل ذلك ما كتبه الأستاذ عادل حسين كثيراً بشأن الصواريخ العابرة وامتلاك العرب لهذه الصواريخ في مواجهة إسرائيل ففكرة الدولة الأمة التي زرعها الاستعمار من أجل تقسيم العالم العربي والإسلامي ربما يكون في تقليل قبضتها مصلحة الأمة العربية والإسلامية . فحدوث خلخلة في فكرة الدولة الأمة هي ما نطمح إليه فعلى الرغم من أن فكرة العولمة يراد بها باطلاً لكن الخلخلة في القواعد والشروط للدولة الأمة قد يكون مفيداً لمصلحة أمتنا العربية والإسلامية.

الجلسة الثانية

رئيس الجلسة: محمد إبراهيم مبروك
المتحدث الأول: أ.د. سيد الدسوقي
المتحدث الثاني: د. مجدى قرقر
المعقب: د. حمدى مرزوق

كلمة الدكتور/ سيد الدسوقي

العولمة وقضايا التقنية

عندما أردت أن أفهم طبيعة العولمة من الناحية التقنية فقد عملت على تحديد ذلك في سبعة محاور:

المحور الأول: الميكنة أو الأتمتة التى تعنى لدى البطالة وبالصدفة البحتة وأنا أفكر فى المحاضرة جئتني مجلة من لندن تسمى دار السلام وبها مقال بعنوان: العولمة من أين وإلى أين: التقدم التكنولوجى فى فكر العولمة. وذكر فى المقال أن هناك ٨٠٠ مليون شخص يعانون من البطالة وهذا الرقم فى زيادة مستمرة وسيصل إلى منحنى حاد فى نهايات هذا القرن والشركات الأمريكية تسرح سنوياً نحو ٢ مليون عامل على الرغم من أن الشركات المؤتمته لا تتجاوز ٥٪.

والذى تعنيه الأتمتة هو أننى أستعيز عن مائة عامل على سبيل المثال بروبوت يحتل مكان هؤلاء المائة دون حاجة إلى دفع أجور أو تأمينات اجتماعية.

والسؤال الذى نطرحه هنا هو: هل العمل غاية فى ذاته أم الإنتاج هو الغاية فى ذاته لأن تحدث ترفاً سلعياً شديداً للغاية ولقد تساءلت فى جامعة ستانلز عام ١٩٨٤: ما الذى تريدونه منا أيها الغربيون فنحن لانريد سوى أن نأكل ونلبس فى بساطة ولكنكم تريدوننا أن نأكل بطريقتكم ونلبس بطريقتكم وعندما جاء الحديث عن العمل قلت: أنه حتى فى الكتب الأمريكية مثل كتب جوبز فإنه يقول عن العمل: إنك تجهز الإنسان على

أعلى مستوى من التأهيل المهني ثم إذا به لا يجد عملاً سوى أن يقف في محطة وقود ليبيع بنزين أو يعمل كمدرس لغة بسيط. إن ذلك يصنع مجموعة من الإجهادات النفسية داخل الإنسان كقيلة لدفعه إلى الانتحار. فالذين يتوافقون مع عملية الإنتاج المؤتمتة هم طبقة قليلة من المهندسين المتقدمين جداً القادرين على استخدام الكمبيوترات ووسائل التحكم المتقدمة أى أن ٩٠٪ من العمال على الأقل غير صالح لعملية الأتمتة ولا يجد له مكاناً فيها.

والعمل في ذاته هدف إنسانى وإسلامى أيضاً ولا بد أن يتوافق العمل مع مختلف القدرات البشرية وليس على بعض المهندسين ذوى القدرات الخاصة. والترف في حقيقته هو قلة العمل وكثرة السلع وذلك يزهق بروح الإنسان فالعمل ينبغى أن يكون لكل طوائف البشر فأى مجموعة بشرية بها مجموعة نابهة عقلياً ومجموعة تبرز مواهبها في استخدام أيديها أكثر وأخرى في استخدام أقدامها فلا يكون العمل بذلك مقصوداً على الذكاء الهندسى فليس وحده شريف البلاد ولكنه يصلح لمجموعة من الناس ولا يصلح لأخرى والغرب عندما يفرض علينا العولمة فهو بالضرورة يفرض علينا الأتمتة وسأضرب لكم مثلاً واحداً فالبطاطس مثلاً التى يعلم الجميع كيفية صنعها هى الآن تأتمت وذلك بتحويلها ميكانيكياً إلى شيبسى.

وبالطبع فإن هذا المكن يكون آتياً من الخارج وأغلفة الشيبسى كذلك واردة من الخارج ومكسبات الطعم التى تضاف إليها ضارة للغاية وفى الخارج يجب أن يكتب على أغلفة مثل تلك المنتجات أنها خالية من مكسبات الطعم ومن المعروف فى كل الدنيا أن مكسبات الطعم هذه

تسبب فى مرض السرطان. وفى النهاية فإن حبة البطاطس الصغيرة التى لا تقدر بخمسة قروش يبيعها لك بخمسين قرشاً. هذا أسهل مثال أقدمه للأئمة التى يروج لسلعها التليفزيون الذى يردد كل يوم أغاني الإستعمار. نعم هذه الأغاني التى تروج لمثل هذه السلع فى الإعلانات ماهى إلا أغاني الإستعمار.

فموضوع العولمة ليس صعباً وإنما هو أبسط مما نتصور فالمسألة أنه يريد أن يتدخل فى أعماق أعماق الريف ليصل إلى الفلاح الفقير وزوجته المسكينة ليشاركهما فى كل شئ يفعلانه ويمنعهما من فعل أى شئ لا يريده هو.

لقد سألت صديقاً أمريكياً: لقد زرتك فى الولايات المتحدة ورأيت أين تسكن وأريد الآن أن أحسب مساحة المنطقة التى تعيش فيها أنت وجيرانك إن خمسين أو ستين فداناً بها متنزهات كبيرة جداً لا تحوى سوى خمسين أو ستين فيلا بكل منها رجل وزوجته أى أن كل هذه المساحة لا يستثمر خيراتها سوى حوالى مائة شخص. فكل ضنك تعيشه شعوب العالم الثالث هو رفاهية هناك.

أننى لست ضد الأمريكيين فقد عشت فى أمريكا عشرين عاماً وكل أولادى يحملون الجنسية الأمريكية لأنهم ولدوا هناك وفى واشنطن قلت فى محاضرة لى: أن الأئمة كأحد آليات العولمة قد تؤدى بك فى البدء إلى الرفاهية ولكنها ستؤدى بك فى النهاية إلى الموت الزؤام.

وأريد أن أقول أن هناك فرق بين الأئمة فى المفهوم الإنتاجى (أئمة الإنتاج) وبين الأئمة فى القياس الهندسى وترقيته وجعله قياساً دقيقاً.

فالأقمار الصناعية تجمع فى أماكن بسيطة ليست مؤتمتة ولكن كل جزء فيها دقيق القياس إلى درجة بالغة ويصنع فى ورش رأيتها بنفسى ولا تختلف كثيراً عن المصانع البسيطة ولكنها مضبوطة من ناحية الهواء ومن ناحية (اليوالتى) ومن ناحية (الفوتشر) أى أن الأتمتة ليست بالضرورة تقدمة. فمن الممكن أن تصنع السيارة بتجميع ورش بسيطة وبذلك نقيم الورش التى يعمل بها الناس ونقوم بتجميع تلك المنتجات أى أنه ليس من الضرورة تجميعها بالطرق الحديثة التى تستغنى عن الإنسان تماماً.. أى تأخذ الإنسان وتقذف به خارج الكون ولا يبقى سوى مجموعة المستثمرين الذين يعيشون على ظهر هذه الأرضى.

المحور الثانى: الجراحة التجريبية.

فأى شئ لديهم قابل للتجريب: نقل الأعضاء أو تغيير خصائص أى نوع من الطعام أو استخدام أى نوع من الأسلحة.. كل الأشياء لديهم قابلة للتجريب دون اهتمام بنتائج ذلك على الإنسان أو البيئة وذلك يرتبط بالمجموعات الإقتصادية المغامرة. فالتنافس بين هذه الشركات يجعلها تفعل أى شئ من أجل تحقيق السبق فالعولمة لاقيمه لها إلا تحقيق أكبر قدر من الأرباح حتى ولو أدى ذلك إلى تجريب أى شئ مثل تجريب الأدوية التى تكسب شركاتها مليارات الدولارات حتى يكتشف الناس آثارها الجانبية الرهيبة كما هو حادث بالنسبة لما يروج الآن عن عقار الفياجرا.

والمثال الرهيب الذى يؤخذ على ذلك هو ما حدث فى حرب العراق والكويت فلقد سمعت من العلماء الأمريكىين أنفسهم أنهم كانوا يريدون أن يعلموا نتائج حدوث حريق كبير تستخدم فيه كافة الأسلحة فأحرقوا الكويت كلها ليعلموا نتائج ذلك وعلى إثر ما حدث تغير طقس العالم.

المحور الثالث: السيطرة الإقتصادية والإغواء الإقتصادى. والسيطرة
تعنى شراء موارد الدول وموادها الخام بأقل الأسعار وإعادة تصنيعها وبيعها
لنا بأكبر الأسعار ويضاف إليها فوق ذلك ضريبة الكربون وهى تعنى
ضريبة تلوث أجوائهم نتيجة التصنيع.

والإغواء الإقتصادى يعنى أغواؤلك بمشاركتهم فى مشاريعهم الكبرى
العابرة للقارات مثلما حدث فى تجربة النمرور الآسيوية (وقد زرت هذه
البلاد مثل أندونيسيا وماليزيا) فقد تم إغواؤهم بتصنيع أشياء كل مكوناتها
التكنولوجية من الخارج بل وعملوا على فتح أسواق لهم لكى ينطلقوا
وراءهم وفى الوقت المناسب يقطعون عليهم كل هذه الأمور فلا يستطيعون
مواصلة تلك المشروعات فيخسرون نتيجة ذلك عشرات المليارات لأنهم
تابعوا آثارهم ولم يهتموا بالناحية الوضعية وكونوا طبقات من العلماء
فعملية الإغواء هذه عملية مهمة جداً خصوصاً فى البلاد التى تحكمها نخب
من الذين يظنون أنفسهم أنهم يفهمون وليس هناك من يفهم غيرهم مثل
الذين يقودون بلادنا وكثيراً ما ينتج عن هذا شئ من الرواج الإقتصادى
الآننى ثم ينقلب الأمر على عقبه وقد زرت اندونيسيا وماليزيا واعرفهما
جيداً وفى الحقيقة فإن مصر بها من الخبرات العلمية ما هو أكثر من البلدين
ولكنهم نواقده مصنوا فى طريق هذه المشروعات الضخمة هذا إضافة إلى
الفساد وأشياء أخرى وأنا لا أحلل هنا التجريبتين ولكن من أهم أسباب ما
حدث هو الإغواء الإقتصادى الذى لا يقوم على الحياة العلمية المتينة.

المحور الرابع: الإعلام بالسحر.

واعتقد أن هذا الإعلام يشبه بالفعل السحر الذى واجهه سيدنا موسى،
هل تصدقون أن مستوى الإعلان فى الإعلام المصرى أكثر وقاحة من

الإعلان فى الإعلام الأمريكى وقد لمست ذلك بنفسى فى زيارتى لأمريكا. والذى ينظر إلى وقاحة إعلامنا وإيحاءاته الجنسية يظن أن هذه البلد لم تعد بها أية حدود ولم يعد بها دين أو خلق.

المحور الخامس: حواف التقنية.

أى أننا لن نستطيع منافستهم. والحقيقة أننى يكفينى أن أحتفظ بسوقى العربى والإسلامى ولكنهم يعطوننا منتجاتهم نصنعه ويكون تطويره فى يدهم وعندما نجهد أنفسنا فى تصنيعه يقومون فى اليوم التالى بتطويره ومن ثم يمضى كل مجهودنا فى التصنيع وما أنفقناه فى ذلك أدراج الرياح.

ولى كلام فى موضوع التنمية حيث قلت فى محاضرة سابقة أن التنمية أنواع: تنمية البقاء - تنمية الإنماء - تنمية السبق.

وقلة من الدول الآن هى التى تتحرك فى تنمية السبق أما أغلب الدول فإنها تتحرك فى تنمية البقاء فمن الذى قال أن علينا أن نفكر بمنطق الغرب المادى لكى تستهدف من تنميتنا توفير تلك السلع الإستهلاكية؟! إننى لم أقابل أحداً فى أمريكا يقول: يارب ويكفينى أن أقابل إنساناً ليسوا مستهلكين على النمط الغربى لكنهم يقولون: يارب. وهذا فارق عظيم وعلى الرغم من يسر معيشتى الخاصة فى أمريكا لكنى أريد أن أعيش فى هذا البلد وأموت فيه وأرجو من الله أن يحشرنى مع أهله الطيبين ولا أعيش فى أمريكا صاحبة ذلك المنطق المادى.

وأرفض ذلك المنطق المادى الإستهلاكى الذى يدعو إليه بعض العلماء الذين يمنحون الجوائز العالمية لأنهم يفكرون ذلك التفكير ولعلاقاتهم المفهومة بالتطبيع.

المحور السادس:

غياب العنصر الإخلاقي والعنصر البيئي. يقول الله تعالى في سورة النمل: ﴿حتى إذا أتوا على وادى النمل قالت نملة: يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم﴾ فيسمع ذلك سليمان عليه السلام فيبتسم سليمان من قولها فهذه حضارة تسمع لغة النمل ومنطق الطير والله يعلمنا بذلك أن أعظم ضابط مخبرات كان هو الهدهد. والذي لم يكن مجرد ناقل للمعلومات إنما كان فيلسوفاً يكلم الملك بكل قوة: ﴿إني وجدت امرأة تملكهم﴾ وكلمة تملكهم هذه لخصت نظام الحكم كله فقد دلت على مدى استبداد هذه المرأة مع أنها بالنسبة لظروفنا الحالية تبدو عظيمة جداً فقد قالت: ﴿يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون﴾. ورغم ذلك اعترض على وضعها وظل يتكلم عن الدين والحضارة. فالأمثلة التي يعطيها لنا الله في القرآن هبة منه لأنبياؤه ولكن من الممكن أن نصل إليها نحن بالجد والعمل كما يقول القرآن: ﴿وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾. الأنبياء أوتوها لأنهم ذو حظ عظيم فكأن الله ينبهنا أننا من الممكن أن نصل إلى هذه الهبات بطريق العمل ولذلك بدأ الناس نيتهم إلى أنه من الممكن أن يجيدوا لغة الطير.

وعند عودتي من واشنطن قرأت في مجلة كانت مع أحد الركاب بالطائرة عن شخص كانت صورته منشورة بها أنه قد منح أعظم جائزة في أمريكا لأنه أعظم عالم فهم النمل ويقول هذا الرجل: أنه لولا النمل لتعطن وجه الأرض وما كانت هناك حياة. فهذا النمل صاحب رسالة فهو من جند الله ﴿ولله جند السموات والأرض﴾ فقضية البيئة قضية كبيرة وخطيرة وهذه الحضارة المعاصرة لا تريد أن تراجع نفسها. فأصحاب المصانع الذين

يخلفون كل تلك السموم والأوبئة من أجل تحقيق مكاسبهم لن يتراجعوا عن مواقفهم وكأنه يتحقق فيهم قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ وكما يقول الله تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾. إنهم لا يستطيعون الرجوع عما مضوا فيه من إفساد لأن الرجوع يعنى الإقلاع عما يفعلون. وقد قالها جيرد لكى فى كتابة (الأنثروبى): إن الحل لهذه الحضارة من بدايتها إلى نهايتها هو أن تعود إلى ما قبل الثورة الصناعية. وجيرد لكى هذا رجل أمريكى فمن ذا الذى يستطيع أن يحل هذه المشكلة؟! البيئة تتلوث كل يوم.. الأرض تنتقص خصوبتها كل يوم.. والأخلاق تفسد كل يوم فماذا نحن فاعلون؟.

المحور السابع: الضخامة الإنتاجية والتسارع الزمنى والمكانى.

المشاريع الكبرى ضخمة جداً وضخامتها فوق قدراتنا الإدارية وهم لديهم علوم الإدارة الحديثة يفعلون بها ما يشاؤون. ونحن معظمنا قد جاء من الفلاحين منذ عشرين أو ثلاثين سنة وهذا يعنى أنه مازال أثر الفأس فى أيد كثيرة بنينا وكما يقول أحد العلماء الأمريكيين إننا لانريد النظم التى تجعل الإنسان مسحوقاً فى داخله فلا بد أن يكون حجم الإدارة الذى نقوم به حجماً معقولاً لقد قلت لمجموعة من كبار الإقتصاديين: أن لدى امرأة فى المعادى تصنع خضروات فوق (قفصين) قيمتها خمسة أو ستة جنيهات وتبيعها بعشرين أو ثلاثين جنيهاً فى اليوم أى أنها تكسب مائتين أو ثلاثمائة فى المائة يومياً فإذا ضربنا ذلك فى ثلاثمائة وخمسين يوماً فإن ذلك يعنى أنها تكسب سبعين أو ثمانين ضعفاً فى السنة الواحدة ثم يقول لنا رجال البنوك أن الربح ٧٪ أو ٨٪ إن ذلك هو النهب. فالبنوك قد صارت

طريقاً سهلاً بل مصيدة لنهب أموال الناس وهذه المشاريع الكبيرة تجعلنا فريسة للصقر ولا بد أن نأخذ أنفسنا بهذا الأمر.

وعلى سبيل المثال فإن المحلات الصغيرة أفضل كثيراً للإنسان من المحلات الكبيرة (السوبر ماركت) وأنا أحب أن أدخل السوق بدلاً من أن أدخل هذا السوبر ماركت.

أن المعركة ليست سهلة. فالعولمة هي السلاح الذرى الذى يستخدمه الأمريكيون الآن لغزونا: هل تعلمون أن استخدام التليفون المحمول فى مصر أكثر منه فى أمريكا وأن انتشار التليفزيون والفيديو فى مصر أكثر منهما فى أمريكا أيضاً. لقد دخلت بيوتا كثيرة فى أمريكا ليس بها تليفزيون. فهؤلاء أناس ليس لديهم فراغ يستهلكونه بمشاهدة التليفزيون .

وعلى الله قصد السبيل

كلمة الدكتور / مجدى ترقز:

العولمة لها أثران سيئان بشكل كبير غير الآثار الضارة الأخرى.
الأثر الأول: هو ضرب دور الدولة الوطنية فى المجال الإقتصادى والسياسى.

الأثر الثانى: هو ضرب الهوية الثقافية للأمة.

وبالنسبة للأثر الأول فإن الشركات المتعددة الجنسيات أدى تطورها وتضخمها إلى تعميق العولمة اقتصادياً وتعدد أنشطتها فى كل المجالات: الإستثمار والإنتاج والنقل والتوزيع والمضاربة ووصل الأمر إلى أنها قد صارت تؤثر فى القرار السياسى والبعد الثقافى والمعرفى وفى ظل العولمة استطاعت هذه الشركات الإستفادة من فروق الأسعار.. من نسبة الضرائب.. من مستوى الأحرور لتركيز الإنتاج فى المكان الأرخص وبعد ذلك ينقل الإنتاج إلى مكان الذى يكون فيه مستوى الأسعار أعلى ويتم تسويقه هناك ومن هنا كان مصطلح العولمة.

أما بالنسبة للأثر الثانى فقد بدأ التطبيق الإعلامى والمعلوماتى الواسع فى ثورة الإتصالات التكنولوجية وامتلاء الفضاء الخارجى بالأقمار الصناعية وهذا ما جعلنا نشترى قمراً فى الفترة الأخيرة قبل امتلاء الفضاء بهذه الأقمار ويتم الآن بث الحملات الإعلامية من خلال هذه الأقمار الصناعية وبرامج الحاسب الآلى والانترنت. ولأن الشعوب تتأثر بذلك بدرجة كبيرة فلا بد أن نعمل على التصدى لتلك الحملات.

والهوية الثقافية أعتقد أنه يحددها ثلاثة خصائص: خصوصية الزمان ثم خصوصية المكان ثم الخصوصية الحضارية.

فإذا كانت العولمة من الممكن أن تؤثر على خصوصية الزمان بالإتصالات وغير ذلك بعض التأثير الضعيف وإن كانت تستطيع أن تؤثر أيضاً ولو قليلاً على خصوصية المكان لكنها لا تستطيع أن تؤثر على الخصوصية الحضارية للشعوب لكي تجعلها تذوب جميعها في وحدة واحدة كما يقولون لأن هذه الخصوصية الحضارية تمتد لمئات وآلاف السنين وبالتالي فهذا التخوف ليس في محله ومع ذلك فإننا يجب أن نأخذ ذلك في الاعتبار.

والأقمار الصناعية العالمية مقرر لها أن تنقل إليك قنواتها دون دش أو خلافة العام القادم والسؤال الآن هو ما الذي يجعلنا نحن ندير الرز إليها؟ فلو أن مساحة الحرية زادت في التلفزيون أو في الإذاعة أو في الصحافة لم نحتاج إلى هذا التغيير لكن عندما تتحول البرامج إلى تسبيح بحمد السلطة الحاكمة فإنك ستذهب إلى القنوات الأخرى.

ويقول الإقتصاديون أن هناك ٣٠٠ مليار دولار تتحول يومياً في ظل العولمة أموال هائلة سباحة دون صاحب عن طريق (الفيزا كارت) والإنترنت. والتدهور الذي حدث في كوريا على سبيل المثال كان بسبب هذه الأموال الهائلة فقد أخذت قرضاً يزيد على ثلاثة أضعاف الإحتياجات الكورية وقد كان من الممكن حل هذه الأزمات في ظل الإقتصاد الكورى القوى أو بإعادة الجدولة مع البنوك لكن المؤسسات المالية التابعة للنظام الدولى مثل صندوق النقد والبنك الدولى فرضت تعليماتها على كوريا بحكم اقراضهم لها وبحكم أنهم اليد العليا وسياسة البنك الدولى هى على الدوام سياسه إنكماشية وهكذا طلبوا منهم إعادة هيكلة الإقتصاد ومساواة وضع المستثمرين الأجانب مع المستثمرين الوطنيين وهو الأساس الذى

صدر عليه قانون الإستثمار فى كوريا (وقد صدر فى مصر قراراً مثله) وصدر فيها أيضاً قانوناً بخصخصة البنوك ومشاركة رأس المال الأجنبى وإسقاط أى ضوابط على الواردات التى تحمى الصناعات الوطنية ثم تعديل قانون العمال وفصل العمل أو تغيير نشاطهم وإعطائهم المعاش البديل. وهكذا تتدخل البنوك المقرضة والهيئات المقرضة فى القرار السياسى للدولة ومن هنا يغيب دور الدولة القيادى ولا أقصد بذلك أن هذا الدور يغيب تماماً لأن العولمة لن تؤثر كثيراً على الدولة المركزية فليديها الأمن والجيش والإعلام ولكن الدور الوطنى فى القرار السياسى هو الذى يتأثر بالعولمة. بل إنهم من الممكن أن يعملوا على تقوية الجانب الأول على حساب الجانب الوطنى فيعطون لهذه الحكومات أحدث وسائل التصفية الجسدية مادام ذلك يساعد فى تقوية دور الدولة المركزى مما يسهل إضعاف دورها الوطنى وبالتالي فإن ميزان المدفوعات المصرى كان يعانى عام ٩٥ عجزاً قدره ٤ مليار دولار ولكنه قفز فى العام التالى إلى ٩٥ مليار دولار فى السنة المالية وعلى ذلك فإن صندوق النقد قد طالب بزيادة الإستثمار فى مصر من نصف مليار دولار إلى خمسة مليارات دولار أى حوالى عشرة أضعاف وفى هذا الإطار تم تقديم تسهيلات كبيرة أخرى مثل خصخصة البنوك وشركات التأمين واستفادة الإستثمارات الأجنبية من الإمتيازات التى يستفيد منها الإستثمار الوطنى. والدولة تعمل على سداد هذا العجز بموارد قلقة غير مستقرة مثل المساعدات والمعونات التى يهددوننا بقطعها مثلما فعل الكونجرس الأمريكى بربط هذه المعونات بما سماه قضية الإضطهاد الدينى فى مصر وكذلك قطاعات أخرى مثل السياحة وعندما ضربت السياحة فى مصر فإن ذلك أثر على اقتصادها تأثيراً كبيراً مما يدل على عدم

استقرار ذلك القطاع وأيضاً فإن أسعار النفط تتذبذب الآن تذبذباً كبيراً بحيث أن التنمية الحقيقية هي في الأرض المصرية والقوى البشرية أى في الزراعة وفي الصناعة الوطنية فالقطن مثلاً كان في الستينات يزرع منه واحد ونصف مليون فدان فتقلص ذلك الآن إلى ٨٨٠ ألف فدان في العام الماضي وإلى ٦٥٠ ألف فدان هذا العام حتى أن إسرائيل وتونس قد صارا الآن سابقتين لنا في إنتاجية القطن وكل ذلك لصالح الكنتالوب والخيار والفراولة وبحجة أن هذه الأشياء سيعاد تصديرها ولكن هذه الأمور ينبغي ألا تحتسب بعائداتها الآتية فالسعودية مثلاً وهي دولة غير زراعية أصرت على زراعة القمح حتى ولو كلفها أكثر من تكلفة استيرادها أى أنه يجب إعادة موازنة الأمور على أساس تنمية البقاء كما يقول الدكتور سيد دسوقي. ويغدو الأمر هو: هل سنعيش أم سنموت لأننا مهددون في أرزاقنا ومهددون في بقائنا فيجب أن تكون الأولوية الأساسية لتنمية البقاء.

وبالطبع فإن الإستراتيجية المواجهة للعمولة هي استراتيجية الاعتماد على الذات التي تقوم على تنمية البقاء وتنمية النماء (إذا استطعنا إليها سبيلاً) أما موضوع تنمية السبق فإنه سيكون نوعاً من الترف الذي نحن في غنى عنه لأننا نريد أن نعيش في ظل التحديات التي تواجهنا.

وهذه الاستراتيجية يجب أن تعتمد على مواردنا المحلية واختيار التكنولوجيا المناسبة التي تحدث عنها الدكتور الدسوقي وهي التكنولوجيا قليلة رأس المال كثيرة العمالة فهذه هي التكنولوجيا التي تناسبنا وليس التكنولوجيا الغربية كثيفة رأس المال قليلة العمالة التي تعتمد على الكمبيوتر (مما يؤدي إلى مضاعفة البطالة) وكذلك التصدي للفساد المالي للبنوك.

ثم جاء تعقيب الدكتور همدى مرزوق الذى قال:

سأتحدث من خلال عملى الجامعى فى زراعة الأسنان عن مشاهداتى لمظاهر العولة الراهنة. فنحن فى زراعة الأسنان نستخدم كتالوجات محددة وفى أحد المرات وجدت (الاستيكر) المكتوب على أحد أطقم الأسنان صناعة سويسرا وعندما نزعت ورقة الاستيكر وجدت المكتوب تل أبيب. أى أن ما يزرع من أسنان فى مصر هو صناعة تل أبيب. وقد وجدت أن الذين يعملون معى كثيراً ما يجدون مثل هذه الأمور.

ولكن انظروا إلى ما هو أخطر من ذلك وهو المتعلق بسرقة التكنولوجيا فمنذ عشرة سنوات وجدنا بالجامعة دعوات تطلب باحثين فى ألمانيا وأمريكا يمنح أصحابها مزايا كبيرة ومشروعها الأساسى أن تقدم خطة بحثية وعند الموافقة عليها يقومون بتطبيقها فوراً كاملة وبعد أن نتقدم بالبحوث يأخذون من رבעمئة أو خمسمئة باحث بعض الأشخاص المعدودين دون أن نعلم ماهى بالضبط المعايير التى يتم اختيارهم على أساسها. وهل هناك روابط محدد بينهم وبين هذه الهيئات الغربية أم لا؟. ولكن المفاجأة الكبرى هو أننا نفاجأ بعد عدة سنوات من تقديم هذه البحوث أنها منشورة بالكامل فى مجلات غربية ومنسوبة إلى أشخاص غربيين. وما يحدث فى مجالنا يحدث فى كل المجالات. فكل ما يدور فى عقول الباحثين فى كل الجامعات المصرية يقدم بالكامل إلى جهات أجنبية بهذه الوسيلة.

ولكن هناك أمثلة أخرى عن الآثار المخربة للعولة لدينا فالأبحاث العلمية تحدد لها ميزانيات معينة وعندما يقوم الباحثون بأعمالهم يحتاجون

بتخفيضات فى الميزانية تعيق استكمال هذه الأبحاث وإذا تساءلت: لماذا هذه التخفيضات؟! يقال لك على سبيل المثال إنه يتم انتقاص الميزانية بسبب قيام مصر باستضافة بطولة العالم للناشئين فى كذا. فتعطل الأبحاث لمدة سنة أو سنتين ومن ثم يقضى عليها ويتم سرقتها من جانب الشركات الأجنبية.

وعندما ينظر إلى ميزانيات الجامعات المصرية والتي يحددها مفكرنا من أمثال تجار المخدرات فى مجلس الشعب ونواب القروض نجد أن ميزانياتهم فى مجل الشعب تصل إلى ٦٢ مليون جنيه بينما الميزانية الكاملة لجامعة مثل المنصورة أو الزقازيق لا تزيد على العشرين مليوناً أى لكى يفعل هؤلاء النواب ما يشاءون من رحلات وخلافه فإن ميزانيتهم تتجاوز ميزانية ثلاثة جامعات مصرية هذا بخلاف مجلس الشورى وغيره.

أما بالنسبة لما يتعلق بتكنولوجيا العولمة وصندوق التنمية فإنهم مثلاً يبيعون لنا جهازاً لتثبيت أصول العرض ثمنه ألفين من الجنيهات ولكن الشريحة التي نحتاجها للعلاج والتي يعرضها الجهاز يبيعونها لنا بسبعمائة جنيه أى أنه يعطيك جهازاً تستورد من خلاله شرائح عظم بنصف مليون جنيه أى أنه لا يستغلك علمياً فقط ولكن اقتصادياً أيضاً.

وتجد خريجين دون المستوى يقبضون الفين دولاراً فى الشهر فى العمل لدى الهيئات التابعة للخارج ويسافرون بشكل مطرد إلى أمريكا وفرنسا ودول الغرب ليقوموا بأبحاث فى الصعيد والمناطق المختلفة تقدم كاملة إلى الهيئات الغربية وتصل فى النهاية إلى الإستخبارات الإسرائيلية. فهم يريدون أن يعرفوا ما هى الأشياء التي تتأثر بها صحة المصريين

ويستخدمون هؤلاء للقيام بأبحاث معينة لا يدركون أهدافها وعندما نسألهم عن هذه الأهداف يقولون: لاندري ولكنها مطلوبة منا. وفي هذه الأمور يكون إنفاق أموال المعونة التي من خلالها نخرب بيوتنا بأيدينا.

وما أريد أن أقوله بالنسبة لضرب الهوية الثقافية أنها مسألة لا يمكن تقييمها بالمال لأنني إذا كان لدى ولد أريد له الخير فهل أترك له مليون جنيهاً دون تربية أو تقويم حتى لا يكون فاشلاً؟ أم أقوم بتربيته تربية سليمة حتى ولو لم أترك له مليماً؟. أعتقد أن التربية والتعليم الدقيق أفضل من المليون جنيه إذن فالهوية الثقافية والعلمية هي أهم شيء وينبغي أن يكون موقعها في الاهتمام الأول وقبل الجانب الإقتصادي.

تعقيبات أخرى

تعقيب الدكتور طارق حلمى

ثم تحدث الدكتور طارق حلمى فقال:

أرى أن هناك قوى دافعة داخل الإنسان مصدرها أنه كان يعيش فى الجنة وهذا ما يبعث فيه الشعور بالألم ويدفعه دائماً لأن يقيم فى الحياة الدنيا فردوساً يحاكي به الفردوس الذى كان يعيش به فى الجنة ودون أن يشغلنا ذلك عن فردوس الآخرة. وفى الحقيقة فقد بهرتنى محاضرة الدكتور الدسوقي ولقد قرأت له الكثير من الكتب ومن هنا فإن تعقيبى سيتناول محاضراته بوجه خاص.

فانطلاقاً من الرؤية التى تحدثت عنها لا أجد عيباً فى أن تنتج لنا الحضارة الغربية فى تجدد دائم كل هذه التقنيات المستحدثة فى المشارب والمطاعم والملابس والتسلية والترفيه فأخر مراحل الدنيا هى أولى مراحل الآخرة ولكن الخطأ هو فى الغلو فى هذه الأشياء واضرب بذلك مثلاً بالتكييف فهو وسيلة رائعة لدفع الشعور بالحرارة ولكننى عندما أجد التكييف فى العمل والبيت والسيارة فإننى بذلك سأعطل قدرات التكييف الطبيعية التى خلقها الله فى جسد الإنسان والعضو الذى لا يستعمل يضمّر.

ولا أعتقد أن هناك عيباً كذلك فى أن أريح الإنسان كما يفعل التقدم التكنولوجى فى وسائل التصنيع المتعلقة بالميكنة ولكن العيب هو ألا أوفر فرص العمل المناسبة بالنسبة للعمال الذين يفقدون وظائفهم بسبب تقدم الميكنة. والعمل بالفعل قيمة فى حد ذاته وهذا يعنى أننى لست ضد الراحة

التي تقدمها التكنولوجيا ولكن ينبغي ألا يكون ذلك على حساب إيجاد فرص العمل الملائمة للإنسان.

تعقيب الدكتور خيرى رقوة.

ثم تحدث الأستاذ الدكتور خيرى رقوة عضو جبهة علماء الأزهر فقال:

أرى أن العولمة هي محاولة لجعل الأمم عالماً واحداً ليس للناس فيه إلا توجه واحد من مصدر واحد هو المصدر الذى يريد أن يهيمن على العالم أجمع. والتساؤل الآن هو عن دور مؤسساتنا نحن فى العالم الإسلامى بالنسبة لذلك فهل دورها هو الإستسلام لهذا الأمر والإستقبال له؟! فأنا أرى أن هناك أموراً كثيرة تفرغ من مضموناتها القيمة الإسلامية عندنا لتناسب مع هذه الفلسفة ونسمع بعض المسئولين لدينا يقولون: إنا الآن نعيش فى عالم القرية الواحدة وكأن الأمر لديهم قد غدا استسلاماً كاملاً لهذا المفهوم. وبالتالي فإن مناهج التعليم ومناهج التربية ومناهج غيرها كثيرة تطور وتغير بالطريقة التى تناسب وتتوافق مع مفاهيم العولمة أى أنها عملية إلغاء لكل الثوابت الموجودة عندنا التى ورثناها وعشنا عليها من المفاهيم والقيم الإسلامية وقد تابعنا جميعاً التصريحات التى زعم من خلالها الغرب أنه بعد سقوط الشيوعية فإن العدو الأكبر له هو الإسلام وهذه العولمة تعمل على القضاء على هذا العدو الأكبر.

ولكن نحن فى مقابل ذلك نقدم العالمية لأن ديننا دين عالمى لكننا نقدم مفاهيمنا وقيمنا إلى العالم دون ظلم أو تعسف أو اعتداء أو تعصب واستعمار وقد استقبلت الإسلام أمم كثيرة فى التاريخ لأنها علمت عنه ذلك فإن كان هناك من يريد الهيمنة على العالم فلا بد أن نتسائل ماهى

القيم التى لديه لتكون هيمنتها هذه مقبولة. فلو أن لديه القيم التى يطمئن إليها الضمير العالمى لاطمئنت إليه الشعوب ولكن ليس لديهم ما يقدمونه سوى الحقد والإستعمار وامتصاص خيرات الشعوب والعمل على القضاء على العدو الأكبر المتمثل فى الإسلام.

تعقيب الأستاذ حسن طايح.

ثم تحدث الأستاذ حسن طايح فقال:

أرى أن هناك إجماعاً من المحاضرين على أن العولمة لها أثرها الكبير فى الإعلام والثقافة والقيم ولقد أثارتنى، كلمة الدكتور الدسوقي التى يقول فيها: أن العولمة لاقيم لها أما الدكتور مجدى قرقر فقد قال: أن من أهم أثار العولمة ضرب الهوية الثقافية فانظروا الآن إلى أطراف المعادلة: هم يملكون إعلاماً بلاقيم ونحن نملك قيماً بلا إعلام. فهل من الممكن أن نستخدم آليات العولمة المتقدمة فى نشر رسالتنا على العالم؟ إننى أتفق مع الدكتور/ طارق حلمى بأن لدينا بديلاً للطاقة الغربية هو الطاقة الروحية وعلينا أن نبحت فى خطوات التطبيق من أجل بعث هذه الطاقة إلى العالم. وأرى أن أولى هذه الخطوات هو العمل على إنشاء القنوات الإعلامية الإسلامية التى تبث هذه الطاقة وتنشر المفاهيم الإسلامية على العالم.

الجلسة الثالثة

العولمة والصراع بين الإسلام والغرب

رئيس الجلسة: الأستاذ الدكتور / صلاح عبدالمتعال
المتحدث الأول: المفكر الإسلامي الدكتور عبدالوهاب
المسيري
المتحدث الثاني: المفكر الإسلامي الدكتور أحمد
عبدالرحمن
المتحدث الثالث: محمد إبراهيم مبروك
المعقب: الأستاذ الدكتور محمد عبدالمنعم البري رئيس
جبهة العلماء بالأزهر سابقا

كلمة الدكتور عبدالوهاب المسيري العولمة والشرق أوسطية

بداية يجب أن ندرك أن مسألة العالمية.. العولمة.. التعميم هي جزء من منظومة فكر الاستنارة ففكر الاستنارة كان يدور في إطار الإنسان الأثمي.. الإنسان العالمي وجوهر فكر الاستنارة هو أن يتم القضاء على الخصوصيات تدريجيا أى أن نصل إلى نوع من الإنسانية العامة وهذا متجذر في الفكر المادى لأن الفكر المادى بطبيعته فكر تعميمي فالمادة جامعة للإنسان والحيوان والطبيعة أى أن الفكر المادى بطبيعته فكر يتجه نحو القانون العام.. القانون الذى لا يميز بين ما هو إنسانى وما هو غير إنسانى.

فالعولمة كامنة فى منظومة الإستنارة والفكر المادى بشكل عام. والذى حدث أنه فى المرحلة السابقة عن عام ١٩٦٥ تمكنت الحضارة الغربية من فرض نفسها على العالم ومن ثم لم يكن فكر العولمة هذا فى صالحها على الإطلاق ولهذا تبنت الفكر الأمبريالى وفكر الخصوصية القومية وتفوق الإنسان الغربى وطرحت شعارات مثل الإنسان الأبيض ورسالته الحضارية وتمت التجربة الاستعمارية فى إطار الخصوصية الحضارية الغربية وما تتميز به من تفوق على الحضارات الأخرى ولكن حدث بعد عام ١٩٦٥ - ولا أعنى بذلك هذا العام على وجه التحديد ولكن أعنى بذلك منتصف الستينيات إنتقال كبير فى هذه الحضارة وجوهر هذا الانتقال هو ما أسميه الانتقال من مرحلة الصلابة إلى مرحلة السيولة بمعنى أن الحضارة الغربية التى كانت واثقة من نفسها تماما قد فقدت هذه الثقة وبعد أن كانت متمركزة حول نفسها فقدت هذا التمرکز حول الذات وهذا يعود لأسباب عديدة نوجزها فيما يلي:

على المستوى العسكرى فقد أدت مرحلة الحرب الباردة إلى إرهاب الكتلتين العظيمين لأن سباق التسلح ثبت أنه سباق مكلف للغاية للكتلتين حتى أصبح من العسير عليهما الاستمرار فى ذلك فقد أدى فى النهاية إلى إجهاد الإتحاد السوفيتى وإى عدم قدرة الولايات المتحدة على مواكبة ذلك فالبلاتين تنفق كل عام على أسلحة لا تستخدم.

من ناحية أخرى فقد لاحظت - ولاحظ معي آخرون - أن المنظومة العلمانية توجهه نحو اللذة. فالإنسان الغربى بدأ ينتقل من مرحلة اللذة إلى مرحلة السيوالة ومن ثم بدأ توجيهه نحو اللذة يزيد مما أدى إلى أن النزعة الطوباوية عنده والتى تعنى الرغبة فى إنشاء حضارة ضخمة تسود العالم تراجعت وأصبح الإنسان الغربى منغلق على ذاته يبحث عن متعة دائمة ولا يفكر ومن ثم أصبحت القوات العسكرية الغربية غير قادرة على الدخول فى حروب ولعل الحرب الأخيرة فى الخليج كانت تأكيداً كبيراً لذلك. فهم يرسلون مئات الألوف من الجنود ثم يؤكدون لهم أنهم لن يحاربوا وتصبح المشاكل الأساسية هى العمل على عدم إدخال جنودهم أنفسهم فى الحروب والاستعاضة عنهم بالتكنولوجيا العسكرية. هذا يدل على مستوى من الرفاهية المرتفع للغاية يجعل من الصعوبة بمكان الدخول فى حروب.

وكذلك فإن ظهور دول نووية خارج المعسكر الغربى مثل الصين والهند وباكستان جعل الحرب ذات مخاطر غير محمودة وكذلك ظهور وسائل دمار رخيصة مثل الصواريخ ذات الرؤوس المكروبية وهكذا.

وعلى المستوى الثقافى نجد أن الهيمنة الغربية الثقافية بدأت فى التراجع والنموذج الغربى لم يعد جذاباً لا بشخصه الرأسمالى ولا بشخصه

الإشتراكى بمعنى أن الاحتراق الداخلى لهذه الحضارة قد حدث فالنظام
الإشتراكى قد انهيار والنظام الرأسمالى أصبح فى أزمة شديدة.

وإلى جانب هذا فقد أدرك الغرب أشياء مهمة.. وهى أن هناك عناصر
من العولمة الحقيقية أدت إلى مخاطر جمّة مثل الايدز والإنترنت والبيئة
وكل هذه مشاكل ذات طابع عالمى وليس محلى.

والعولمة ذات طابع مادى تجعلنا نواجه مشاكل من نوع (عالمى).

وهناك شيء آخر أدركه الغرب وهو أن هناك نخب محلية كبيرة مستعدة
للتعاون معه وبالتالي أصبح التعاون معها أرخص بكثير من الدخول فى
حروب.

وعلى المستوى الاقتصادى حدث تراجع بظهور مراكز اقتصادية أخرى
قوية مثل الصين والنمور الآسيوية التى تم القضاء عليها مؤخراً من خلال
تجارة العملة وما شابه.

لكل هذا فإننى أعتقد أن الغرب قد قرر عدم المواجهة واللجوء إلى
الإغواء بدلاً من المواجهة وجوهر هذا الإغواء أن يخبر الناس أننا سواسية
وأن هناك نظام عالمى جديد وأن هناك عدل وأن هناك حقوق إنسان وأن
العالم قرية واحدة وأنه تسوده مجموعة من القيم العالمية وهذا فى الحقيقة
ليس أكثر من أكاذيب مثيرة للسخرية لأنه من غير المعروف على سبيل
المثال ما هي إسهامات أفريقيا فى قيم ذلك النظام العالمى الجديد وفى
العولمة.

فالعولمة التى نعرفها تتمثل فى الهامبرجر والكوكاكولا وفى الماكدونالز
وما شابه.

وبالمناسبة هذه السلع ليست أمريكية بل ومعادية حتى للحضارة الأمريكية ولذلك فالعولمة تفضل السهل على الجميل تفضل السهل على الأخلاقي.. تفضل الإستسلام والتكيف على المقاومة ونجد مظاهر ذلك فى استخدام العاميات الآن مثل استخدام العامية المصرى فى الإعلانات بدلاً من الفصحى وأعتقد أن هذا الأمر الذى بدأ منذ سنتين تقريباً يمثل شكلاً من أشكال الاستسلام هذا الذى هو جزء من منظومة العولمة.

فالعولمة فى جوهرها تعنى بالفعل عبادة السهل على حساب الحقيقى على حساب الأخلاقى ونلاحظ هنا أنه بدلاً من الصراع والبقاء للأقوى أصبح الأمر الآن البقاء للأسهل ففهى منظومة مبنية على الاغواء ويساعدها فى هذا أن النخب المحلية فى العالم الثالث التى قد تم تغريبها عبر الأجيال السابقة تمضي فى هذا الإتجاه فعندما نقارن التكوين الثقافى لـ«سعد زغلول» بالتكوين الثقافى لـ«مصطفى النحاس» بالتكوين الثقافى لـ«جمال عبدالناصر» ثم التكوين الثقافى للرئاسات الآن سنجد أن هناك خطأ بيانياً هابطاً باستمرار نحو مزيد من التغريب وأبناء النخبة الحاكمة الآن فى حالة تغريب فى حالة سيولة وما أقصده هنا هو التغريب بالتحديد وليس التنصير وأنا أرجوكم الإهتمام بالتفرقة بين الأمرين لأن التغريب لا يوجد داخل المؤسسات الأمريكية فقط وإنما يوجد داخل المؤسسات المصرية أيضاً وربما بشكل أكثر شراسة. ووجود هذه النخب الحاكمة جعل شعار العولمة شعاراً من الممكن طرحه والذى يعنى أننا نعيش جميعاً فى قرية صغيرة تحكمها مجموعة من القيم الواحدة وجوهر ذلك أنه ينبغى أن نتاجر سويّاً لا نتصارع ونتمتع سويّاً لأن جوهر المنظومة العلمانية فى اعتقادى هو ما أسميه الإنسان الاقتصادى والإنسان الجسمانى ونجد فى إعلانات

التليفزيون بلورة لهذا فاعلانات التليفزيون هى محاولة لبيع السلعة من خلال الجنس بمعنى التوجه إلى الإنسان الاقتصادى من خلال الإنسان الجسمانى ولذلك نجد أنهم يبيعون لنا المبيدات الحشرية من خلال الشقراوات اللاتى يقفرن ويتراقصن دون أن يكون لذلك أى علاقة بالمبيد الحشرى ولكن أدرك العاملون فى قطاع الإعلانات أن هذه هى الخلطة التى لا يمكن هزيمتها لأنها الخلطة التى تتواءم وتعبر عن هذا النظام العالمى الجديد وعن هذه العولمة.

وكما قلت فإن العولمة مبنية على فكرة السوق والجنس أو الإنسان الاقتصادى والإنسان الجسمانى حتى نتحلى بالمصطلح الموضوعى وأنا من دعاة هذا وأعنى بذلك أنه يجب عندما نتحدث عن الآخر أن نتحدث عنه بلغة إنسانية عامة وليست إسلامية لأننا لو تحدثنا عنه بلغة إسلامية سخر منا واستراح كثيراً لأنه فى هذه الحال يهملنا فأنا لو تحدثت معه بلغته أظهرت قصوره ومحدوديته الشديدة من خلال لغته فاعتقد أن ذلك هو الأكثر قوة والأكثر تأثيراً.

وقد كان من المفروض أن أكون اليوم ضيفاً على الأستاذ فهمى هويدى فى صفحته بالأهرام ولكن قامت الديمقراطية المصرية بمصادرة المقال .

ولقد حاولت فى هذا المقال أن أتعامل مع السلام من منظور السلام.. قلت: إذا كان السلام أمراً مطلوباً فعلياً بالسلام ولكن السلام له شروط وأهم هذه الشروط هو قانون العودة الإسرائيلى. فإذا كان دعاة السلام الإسرائيلى صادقين فى دعوتهم فعليهم أن يعلنوا مجرد النية فى إلغاء قانون العودة والرغبة فى إلغاء الصندوق القومى اليهودى وفى هذه الحالة من الممكن أن نتعامل مع ما يقولون.

ومشروع الشرق الأوسطية هو مشروع للعولمة فى جوهره يستند إلى فكرة أن الإنسان العربى إنسان اقتصادى والإنسان الإسرائيلى إنسان اقتصادى وبالتالي فإن الخلافات فيما بينهم خلافات اقتصادية ويمكن حلها اقتصادياً من خلال المفاوضات وهكذا.

وما يجب ذكره أن ما يحدث ليس التبادل ولكن السلع الغربية هى التى تنهمر ولا نعرف حتى الآن أن السلع المصرية بدأت تغزوا فرنسا ولكن كل ما نسمع عنه أن قيم العولمة هذه تغزونا الآن بشكل مخز.

فبيريز ومجموعة حزب العمل كانوا يمثلون فكرة السوق الشرق أوسطية وقد جاء بيريز هنا واجتمع مع بعض المثقفين المصريين وقال لهم: إن الشعب اليهودى يريد فقط أن يشتري ويبيع ويستهلك وينتج فعظمة إسرائيل تكمن فى عظمة أسواقها وأنا أعتقد أنه فى هذه العبارة قد لخص تماماً فكر العولمة.. أن السوق هو المعيار الأساسى.. هو المكان الذى تتبادل فيه السلع والأفكار وهكذا.

وقد صدق ذلك كثيرون وبدأت المؤتمرات الاقتصادية تعقد إلى أن جاء نتنياهو الذى خلعت عليه لقب باعث القومية العربية. لأننا بدون نتنياهو فقد كنا سندخل النفق المظلم الذى نصبه بيريز وكانت المسألة قد استغرقت بضعة سنوات من التاريخ العربى إلى أن نكتشف أن بيريز فى الواقع هو بطل قانا وأنه فى النهاية يريد أن يغدر بنا لكن البلاهة العربية المتميزة المعروفة لدينا كانت مع هذا ستستسلم لبيريز وذلك لأن الكفاح مرير والجهاد يتطلب البذل والتضحية والإنسان بطبيعته - كما أقول - يحمل بداخله مجاهد ولكنه أيضاً يحمل بداخله بقال. والنظام العالمى الجديد

يتوجه إلى البقال وهذا البقال قوى جداً ولذلك فشعوبنا العربية توجهت نحو بيريز والسلام والبلوبيف وهذه الأشياء كلها لأن البقال فى داخلها استيقظ ولا يستيقظ المجاهد إلا إذا اكتشف أن هذا البقال لا يريد به خيراً وهذا ما فعله نتيا هو فقد أثبت لنا أن البقال لن يؤدى إلى أى شيء وها هى القدس قد تم توسيعها لتضم ثلاثين ألفاً من اليهود والولايات المتحدة هددت بحق الفيتو لحماية هذا أيضاً.

فكما ترون فإن العولمة تستند إلى مجموعة من القيم وهى فى الواقع قيم مادية تنفى الخصوصية الإنسانية.. تنفى الإنسانية، كإنسانية وتحاول فى ذات الوقت أن تطرح رؤى تدور حول السوق.. تدور حول الكباريه.. تدور حول السوبر ماركت.. تدور حول السياحة.

وهكذا.. أى أنها تدور حول القيم التى جوهرها الإنسان الاقتصادى والإنسان الجسماني.

وأرجو ألا يفهم من هذا أننى ضد العولمة الحقيقية التى ننشدها ولكن إذا كانت تلك العولمة التى يدعون إليها تصل إلينا ولو كنا فى بروج مشيدة - على حد قول الدكتور صلاح عبد المتعال فى تقديمه للجلسة - فإننا على الأقل يجب أن نعرف أنها شبيهة بالموت. فدعاة العولمة هؤلاء الذين شبهوا العولمة بهذه الصورة المجازية الرائعة يجب أن يدركوا أنهم شبهوا العولمة بالموت وإنها إذا كانت فعلاً حتمية فإننا يجب أن نعرف أنها طريق جهنم وليست طريق الجنة.. وقد نضطر للذهاب إلى جهنم فهذه قد تكون نهاية الكون التى يمضى إليها الغرب ولكن فى هذه الحالة يجب ألا نذهب إلى جهنم ونحن نعتقد أنها الجنة فهذا ليس سوى خداع للنفس.. ولكنى أعتقد

أيضاً أنها ليست حتمية لأن المجاهد داخل الإنسان سينتصر بمشيئة الله وأن القيم الإسلامية من الممكن أن تحشد هذه الأمة لكي تقف ضد هذا الاتجاه المميت الذي يذيب الخصوصيات القومية والخصوصيات الدينية أيضاً. أى أنه اتجاه يعادى أى نوع من القيم سواء كانت قيم قومية إثنية أو قيم إنسانية دينية.

أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم.

العولمة: وجهة نظر إسلامية

الدكتور أحمد عبدالرحمن

طرحت نظرية «العولمة أو الكوكبية» «g Lobalism» على نطاق واسع هذا العام، وتعددت حولها الآراء والمفاهيم، وكان من الواضح من الاسم نفسه أنها تبنى على نوع من الاتحاد أو التماثل أو حتى التطابق بين البشر الذين يعيشون على ظهر هذا الكوكب، والسياسات التي تبنى عليها تبتغى أن تكون عالمية، تتخطى التنوعات والتباينات والخصائص الفارقة للأمم والثقافات.

ولأن حياة البشر على ظهر الأرض متعددة الجوانب كان من المحتم أن يجرى البحث في العولمة: الفكرية والثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والقانونية.

وإزاء الطرح الكثيف المتشعب لهذه النظرية كان لابد من تناولها من وجهة نظر إسلامية، كآية ظاهرة جديدة تحدث في حياة المسلمين.

وأنا أزعم أن في الإسلام عقائد وتعاليم تشكل مذهباً إسلامياً في «العولمة»، يمكن أن نقارنه بالنظريات الأخرى، ونقومها في ضوءه.

فالقرآن الكريم رسالة للبشر كافة، أو هو رسالة عالمية لكل الأجناس والأمم التي تعيش على كوكب الأرض، وفي هذا يقول الحق تبارك وتعالى للنبي ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: آية ١٠٧]. ويقول - جل جلاله - عن القرآن الكريم: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: آية ١]. ويقول: ﴿... إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:

آية ٩٠]. وقد حاول المسلمون إبلاغ الرسالة الإسلامية إلى البشر في كل أرجاء العالم، فاعتنق الإسلام أقوام من الفرس والهنود والصينيين والأتراك والأفارقة والأوربيين والأمريكيين.

✽ وعالمية الرسالة الإسلامية تستند إلى حقيقة بيولوجية أساسية يقرها القرآن الكريم، ألا وهي أن كل الشعوب والقبائل البشرية ينتمون إلى أب واحد وأم واحدة؛ فيقول سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: آية ١٣]. ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: آية ١]. فبين شعوب الأرض كلها صلات رحم، لأنهم ينسبون إلى «نفس واحدة» - إلى آدم عليه السلام وزوجته التي خلقها الله تعالى «منه» - أي من آدم.

✽ والرسالة الإلهية واحدة أيضاً، وهي: الإيمان بالله تعالى، الواحد الأحد، الذي لا شريك له ولا مثيل له، وتعبيد الخلق له وحده دون غيره. والأنبياء والرسل، من - آدم عليه السلام - إلى محمد - ﷺ - دعوا البشرية في كل مكان وزمان إلى هذه الرسالة الواحدة المعينة، وإذا كان قد حدث نسخ فإنه لم يتجاوز بعض الشرائع التي جاءت بها. وفي هذا يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ..﴾ [الشورى: آية ١٣]. وقد جاءت هذه الرسالة السماوية، العالمية، الواحدة لكل البشر، في كل مكان وزمان، بعقائد وشرائع وقيم أخلاقية،

تكفل لهم السعادة الحقة فى الدنيا والآخرة، وتحررهم من عبادة الطواغيت والأصنام، ليعبدوا الله الواحد الأحد.

❖ وهناك قيم مطلقة لا تتغير ولا تبدل من زمان إلى زمان ولا من مكان إلى مكان، ولا من أمة إلى أمة؛ فهى قيم عالمية، كوكبية، وعلى رأس هذه القيم «العدالة» ولهذا كانت القوانين التى تتصف بالعدالة مطلقة، يتلقاها البشر بالرضا والاحترام فى كل العصور.. والعدالة هى الأساس الأخلاقى للقوانين الدولية. وقد أثبتت القيم المطلقة مذاهب فلسفية معاصرة عديدة، لعل أهمها مذهب نيكولاى هارتمن وماكس شيلر وأستاذهما إدموند هسرلم.

❖ والجسد البشرى واحد فى تكوينه البيولوجى، ولذلك كان الطب بشريا عاما؛ وعلوم الطب، وعلوم الأدوية، لم تخص شعبا دون غيره، بل حدث اقتباس هائل بين أمم الأرض.

❖ والشيء نفسه يصدق على علوم الفيزياء والكيمياء، لأن الطبيعة المادية واحدة؛ وكذلك التقنيات والصناعات المبنية على العلوم المادية عالمية عامة.

❖ فهذه كلها عناصر «عولمة»، لا يملك أحد إنكارها أو الاعتراض عليها؛ وهى من وجهة نظر إسلامية حقائق عقدية وأخلاقية وتشريعية وبيولوجية وطبيعية.

التنوع ضمن الوحدة:

❖ وتنص آية سورة الحجرات التى أوردناها على وجود التنوع ضمن الوحدة، فأصل البشر أب واحد؛ لكن الله تعالى جعل ذريته شعوبا وقبائل

متممايزة؛ ففيهم الأسود والأصفر والأحمر والأبيض، لكي يمكن لهم أن يتعارفوا، لا أن يتعالى بعضهم على بعض، وهناك صفات عرقية نوعية عديدة معروفة فضلا على لون البشرة، يعرفها أهل الاختصاص.

✽ والإسلام يوجب على المسلمين أن يدعوا إليه الناس من كل جنس؛ وفي ذلك ينبههم القرآن الكريم إلى أن الناس لن يكونوا أمة واحدة؛ وسيظل هناك دائما ضالون غير مسلمين، فيقول جل جلاله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [النحل: آية ٩٣]، ويقول: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لَبُيُوتَهُمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]. فعلم المسلمون يقينا أن الإسلام لن يعم البشرية جمعاء، وأنه سيظل هناك كفار بالإسلام، وأن تلك هي إرادة الله جل جلاله. والتاريخ الإسلامي يكشف لنا عن هذه الحقيقة الإسلامية، إذ ساد المسلمون بلاداً شاسعة من سور الصين إلى «نانس» على مبعده مائة كيلو متر من باريس، وشكلوا أعظم وأقوى دولة في العالم في ذلك الزمان، وعلى الرغم من ذلك ظل التنوع الديني قائما وعاشت اليهودية والمسيحية في أوساط المجتمعات الإسلامية، يمارسها أهلها بحرية تامة.

✽ إن هذا المفهوم للعمولة ليس جديدا. فوجود عناصر إشتراك بين البشر وتبعاً لذلك، إمكان اتحادهم في بعض الأفكار والنظم والقوانين ليس بجديد. ومعلوم أن المسيحية انتقلت من الشرق إلى أوروبا. وانتشر الإسلام من الحجاز إلى الهند وفارس والصين.. واقتبست الأمم بعضها عن بعض، أفكاراً وعلوماً وفنوناً وتقنيات.. واتفقت الأمم واختلفت وتقاتلت، وكان لابد من وجود قواعد تنظم التجارة بينها، ومعاهدات وعهود سياسية دولية،

وقد ابتعث السفراء بين الملوك والأمراء والحكام، واعتبر العدوان على السفراء جريمة كبرى، وهذه كلها مظاهر «عولمة» وجدت قبل أن يوجد فلاسفة العولمة المعاصرون، وكلما ازدهرت التجارات وتكثف الاتصال، برزت الحاجة إلى قواعد عامة تنظم ذلك ويقر بها الأطراف ويرتضونها، وذلك هو أصل القوانين الدولية فى العصور الحديثة.

✽ ولقد كان انقسام البشرية إلى مهتدين مؤمنين بالإسلام وضالين كافرين به، ولا يزال أخطر الفروق المحددة للعولمة، وفى عصرنا هذا اتخذ هذا الانقسام شكل فلسفات مادية ملحدة رافضة للدين وشرائعه وقيمه الأخلاقية، رافضة لقبول أية فكرة جاءت فى القرآن الكريم أو جاء بها الوحي، وتلك هى «العلمانية» التى تقرر أن الإنسان ليس فى حاجة إلى السماء لكى تنظم له حياته أو تزوده بأفكاره ونظرياته. وفى مواجهة هذا الموقف يقف الإسلاميون الذين يؤمنون بأن الإسلام حياة كاملة شاملة، وليس مجرد عقائد أو عبادات. وكل فريق يحاول الانتصار على الآخر و«العولمة» الغربية تشكل كل المحاولات العلمانية فى هذه المواجهة.

✽ وقد اتحدت القوى العلمانية فى الداخل والخارج فى أشكال عديدة من الروابط، آخرها «نظرية العولمة» بغية تعميم الفلسفة المادية فى العالم الإسلامى؛ ولقد حاولوا تشويه الإسلام بكل الطرق والوسائل لتنفير المسلمين منه لكى يتم إفساح المجال لإحلال الفلسفات المادية، وما بينى عليها أو يشتق منها من النظم والقوانين والقيم، محل نظائرها الإسلامية، وهذا الإحلال يمثل أحد أهم مظاهر «العولمة» فى العالم الإسلامى، فالعولمة، عند هؤلاء هى استبعاد الإسلام وإقصاؤه عن الحياة، وإحلال الفكر الأوربى والأمريكى المادى، العلمانى، البراجماتى (النفعى) محله، بحيث لا يكون

هناك «عالم إسلامي» و«عالم مسيحي» و«عالم علماني»، بل عالم واحد علماني مادي يستقى فكره وشرائعه وأخلاقياته من الخبرة البشرية، وهى الخبرة البشرية للعالم الأول، المتقدم، الغني، والقوي، فى أمريكا وأوربا.

ومن الخطأ أن يظن أحد أن أمريكا تريد «أمركة» العالم، بمعنى أنها تريد تحويل دول العالم إلى ولايات أمريكية؛ فذلك مطلب مستحيل، والتفكير فيه ضرب من الخبل!

كما أنها لا يمكن أن تفكر فى القضاء على كل الثقافات البشرية لكيلا يبقى غير الثقافة الغربية، لأن هذا أيضا مستحيل. ومعلوم أن المجتمع الأمريكى نفسه متعدد الثقافات، لكن المهم أن تظل ثقافة الرجل الأبيض هى المسيطرة الفاعلة، وتظل الثقافات الأخرى محدودة ضمن السلوك الفردي، لا تتعداه، فالدساتير والقوانين والنظم يجب أن تكون «براجماتية»، أساسها الفلسفة المادية الحسية، ولا مجال لكتاب سماوى أو وحى إلهى فى تحديد المذاهب الفلسفية أو الدساتير، أو الشرائع والقوانين والقيم الأخلاقية. وهذا هو المطلوب من خلال «عولمة» العالم الإسلامى: أن يتم إبعاد الإسلام عن مجالات الفكر والعمل، وبذلك يتحول المسلمون إلى أتباع للغرب، هو الذى يفكر لهم، وهو الذى يشرع ويقن وينظم، وما عليهم إلا أن يتلقوا عنه كل ذلك صاغرين، وبذلك تزول كل أخطار الاستقلال الفردي والعملى الذى يكفله الإسلام للمسلمين، وتزول كل مقومات الوحدة الإسلامية والتضامن الإسلامى - الغول المخيف للغرب! - وتتبعثر الشعوب المسلمة وتتمزق وتسقط فى مستنقع الضعف والهوان، ويستمر نهب ثرواتها واستغلال خيراتها، وإمكاناتها، إلى يوم الدين! وهذا هو التطبيق العملى للبراجماتية الأمريكية فى السياسة الدولية. وهم يعلنون

عن ذلك دون مواربة أو خجل، فكل السياسات تعتمد لتحقيق «المصالح الأمريكية»! وفي سبيل المصالح الأمريكية تسخر كل القوى المادية العسكرية، وتستغل حقوق الإنسان والحريات والتعددية والديمقراطية.

وإذا تعارضت الديمقراطية مع المصالح الأمريكية ضرب بالديمقراطية عرض الحائط! ولذلك رضيت أمريكا بأن ينسف «يلتسن» مبنى البرلمان الروسى بالمدفعية، كما أيدت العسكر الانقلابيين فى الجزائر، وهى التى تساعد الحكام الطغاة فى كل مكان ماداموا أخلصوا لها ولمصالحها، وتحارب كل حركة ديمقراطية تهدد استغلالها وظلمها وعدوانها.

كيف تفرض العولمة الأمريكية؟

وتتوسل أمريكا بوسائل عديدة لفرض العولمة بالمفهوم الأمريكى على العالم كله، والعالم الإسلامى خاصة. من ذلك: دعم القوى العلمانية الداخلية بالمال والحماية، وحماية الأفراد المرتدين عن الإسلام وتكريمهم، كما حدث مع سلمان رشدى ونسرين تسليمه، وقد انتشرت الجمعيات الأهلية (التي تضع لنفسها أهدافا غير إسلامية) انتشارا وبائيا، وتدفتت عليها الدولارات بسخاء لانظير له! ومن ذلك الدعم الاقتصادى للنظم العلمانية الحاكمة، المعادية للإسلام، والحرمان والتجوع والحصار لأى نظام يتمرد على الإرادة الأمريكية، أو يتخذ الإسلام منهج حياة كاملة، ومن ذلك جهود المستشرقين والكتاب والإعلاميين والفنانين عبر كل الوسائل والمناهج التربوية فى جميع مراحل التعليم. (راجع مثلا كتاب برجنسكى out of control p.210) وآخر ذلك شبكة الاتصالات الدولية «الإنترنت». ومن ذلك تقييد الحكومات المسلمة، أو التى تحكم المسلمين باتفاقيات

مصحفة ظالمة، كانتفاقية الجات وانتفاقية منع الانتشار النووي، ومن ذلك المحاولات واسعة النطاق لجلنزة» البلاد المسلمة - أى نشر اللغة الإنجليزية، وإقصاء اللغة العربية ودفنها حية! هذا بالإضافة إلى إحلال الأزياء الأمريكية محل الأزياء العربية والمصرية ونماذج وأساليب وتقالييد الطعام، بإنشاء سلسلة من المطاعم الأمريكية، وإقامة شركات لإنتاج المواد الغذائية الأمريكية على الطرز الأمريكية، وبأسماء إنجليزية.

وقد نجحوا فى ذلك نجاحا باهرا، فإذا دخلت أى دكان للبقالة فى أية عزبة مصرية وقرأت أسماء السلع المرصوفة على الأرفف فلن تجد أسماء عربية ربما باستثناء «المعسل» الذى يدمنه الفلاحون! ولا يجرو وزير كبير أو صغير على المطالبة باستعمال الأسماء العربية، لأن ذلك سيحسب عليه، ويعد مغامرة بمستقبله السياسي، وربما جلب عليه الاتهام بالأصولية والرجعية، وإحياء ثقافة العصور الوسطى، ولذلك يمر الواحد منهم يوميا على المحال والشركات التى تحمل لافتات بالإنجليزية، دون العربية، مخالفة للقانون، ويغمض عينيه ويصمت! والطفل المصرى يفتح عينيه على كتابات بالإنجليزية، على ملابس إخوته وأخواته، على صدورهم وظهورهم، وعلى ملابسه هو نفسه، وعلى اللعب والهدايا، وكل شيء، حتى يستقر فى ضميره أن هذه هى لغته، وأن العربية هى اللغة الثانية، أو اللغة الميتة، التى لا تعرف الطريق إلى الحياة.

وقبل أن يعرف شيئا ذا قيمة عن لغته، تدخل اللغة الإنجليزية مدرسته منذ الصف الرابع الابتدائى لتصبح مشكلته الأزلية!

العولمة عن طريق الأمم المتحدة

ولقد كانت نشاطات العولمة تأتينا صريحة على أيدي الفرنسيين أو الإنجليز أو الروس، أو الأمريكان، ولكنها الآن تأتي من مصدر آخر، هو موائيق الأمم المتحدة. وهذه الموائيق من صنع الغرب. وأساسها نظرة علمانية مادية للوجود (الانتولوجيا).

ولقد أضحي «الإيدز» سمة من سمات عصر العولمة الذي يتحدثون عنه وإذا كانت المجتمعات الغربية قد نجحت في خفض معدلات انتشاره، فإن المجتمعات المختلفة في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية فشلت في ذلك باستثناء الدول المسلمة التي تحرم الزنا واللواط، فإذا نحن سرنا في قبول العولمة إلى مرحلة إباحة الزنا واللواط فعلينا أن نتقبل النتائج اللازمة عن ذلك - ولا أذكر «الإيدز» فقط، بل ملايين المواليد من سفاح، وهم الذين يشكلون جيوش المجرمين في الغرب، في شكل عصابات المافيا وغيرها. ويمارسون الجريمة المنظمة وغير المنظمة، ولا بد أن نتوقع انهيار الأسرة وظهور الأسرة «المثلية» التي تجسد الشذوذ الجنسي، بالإضافة إلى حرمة كبيرة من الأمراض والأوبئة العقلية والنفسية والاجتماعية، لا يتسع المجال هنا لتفصيل القول فيها.

※ صفوة القول إذن: إن «العولمة» بمعنى وجود أرضية مشتركة بين شعوب الأرض تسمح بقيام علاقات بينها، وتسمح بوجود قوانين كوكبية تنظمها لخير الجميع، تعتبر نظرية مقبولة من وجهة النظر الإسلامية، أما «العولمة» التي تعني فرض الفلسفة البراجماتية، النفعية، المادية، العلمانية، وما يتصل بها من قيم وقوانين ومبادئ، على سكان الكوكب، فهي نظرية

مرفوضة رفضا باتا فى ضوء الإسلام. وهذا أمر بديهي، إذ كيف يقبل الإسلام نظرية تريد نسخه وإقصاءه عن حياة أمتة لكى تحل محله؟!.

✽ والمشكلة التى تواجه الأمة المسلمة ليست تلك النظرية، بل أنصارها من أبناء المسلمين وبخاصة أولئك الذين يحكمون المسلمين ويتحكمون فى التربية والتعليم والإعلام، ويسخرون كل القوى المؤثرة فى توجيه الشعوب لإقناعهم «بالعولمة» المرفوضة إسلاميا، وفضلا عن ذلك يكتمون الصوت الإسلامى الحر الذى يقاوم «العولمة» الأمريكية، ويحرمونهم من استعمال الإذاعة والتلفاز، وإصدار الصحف والمجلات وتكوين الأحزاب، وفى هذا المناخ الاستبدادى تتقدم «العولمة» الأمريكية يوما بعد يوم، وتنحسر الصبغة الإسلامية عن المجتمع المسلم بالقدر نفسه.

الإسلام والعولمة

ورقة محمد إبراهيم مبروك

أول إشكاليات العولمة تبدأ من تعريفها ذاته لأن الذين يستهدفون الترويج لها يصنعون لها التعاريف التي تقرر بينها وبين العالمية حتى تبدو وكأنها شيئاً مفروضاً لا مجال للخيار فيه.

بينما يذهب الرافضون إلى أنها تعبير دعائى لما انتهت إليه الليبرالية الاقتصادية المتأخرة وكما يقول الأستاذ السيد ياسين^(١): «إن صياغة تعريف دقيق للعولمة تبدو مسألة شاقة نظراً لتعدد تعريفاتها والتي تتأثر أساساً بانحيازات الباحثين الأيديولوجية واتجاهاتهم إزاء العولمة رفضاً أو قبولاً».

وأود أن أوضح للقارئ منطلقتى بأن أحدد له بداية مفهومى عن العولمة: فالعولمة كما أفهمها هى تعاظم شيوع نمط الحياة الإستهلاكية الغربى وتعاظم آليات فرضه سياسياً واقتصادياً وإعلامياً وعسكرياً بعد التداعيات العالمية التى نجمت عن انهيار الاتحاد السوفيتى وسقوط المعسكر الشرقى.

وعلى ذلك فإن العولمة تكتسب عالميتها من مدى اتساع قدرتها على فرض هذا النمط على شعوب الدنيا وليس على أساس كونها واقعاً فعلياً يحيط بالشعوب والبلدان. وعلى الرغم من الأهمية البالغة لتحليل الاقتصاديين للمسألة إلا أن أخطر ما فى الموضوع هو أن طرح القضية على أساس كونها مجرد صراع حول المصالح الاقتصادية يمثل تغيباً لوعى الشعوب الإسلامية على وجه الخصوص لأنه ينطوى على مصادرة مبدئية فحواها أن المسألة لا تعدو كونها خلافاً فى التشكيل النسبى لتلك المصالح

المتنازع عليها داخل إطار المنظور المادى للوجود. فالبحث يتم فى مدى استفادة أو مضار الدول والأمم من العولمة وخسائر ومكاسب الطبقات المختلفة فى ظلها. فإذا وجدت أمة كالأمة اليابانية أو الصينية فى نفسها العافية على دخول الصراع رحبت بالعولمة. وإذا وجدت الطبقات العاملة الأمريكية فى العولمة خطراً متمثلاً فى الاستعاضة عنها بالعمالة الأرخص أجراً فى الدول النامية رفضت هذه العولمة.

لكن المنظور الإسلامى عندما يحدد موقفه من العولمة فلا بد أن ينتقل إلى طاولة بحث أخرى غير تلك الطاولة التى يدور البحث عليها حول التفاوض على مكاسب أو خسائر تعميم النموذج الاستهلاكى الغربى لأن المنظور الإسلامى أكثر اتساعاً وشمولاً من الإطار المادى الضيق الذى تسعى العولمة فى نطاقه كما أن الغايات الإسلامية تتجاوز تلك الغايات المادية الإستهلاكية إلى غايات أرحب تواصل الدنيا بالآخرة وتستوعب الأبعاد المختلفة للإنسان المادية والروحية معاً. وحتى فى الجانب المادى فإنه على العكس من المنظور الغربى الذى يتم تحديد الأولويات الاقتصادية فيه تبعاً لما يقتضيه تحقيق النموذج الإستهلاكى البراجماتى. فإن أولويات المصالح الاقتصادية فى الإسلام تتحدد تبعاً للغايات العقائدية المستهدفة من السعى الإنسانى فى التصور الإسلامى.

ومع ذلك فلا بد أن نشير أولاً إلى أنه من الناحية الاقتصادية البحتة فإن الحلم التبشيرى الإغوائى لدعاة العولمة بتعميم نموذج الإنسان الاستهلاكى الغربى ليس سوى فانتازيا خادعة لأن موارد العالم أجمع لا تكفى لتحقيق ذلك النموذج.

والمسألة ليست فقط تحقيق مصالح الدول الغنية على حساب الدول الفقيرة حتى ولو أدى ذلك إلى افنائها ولكن تحقيق مصالح النخب الرأسمالية فى تلك الدول والنخب الحليفة لها فى الدول الأخرى على حساب كل شعوب العالم. فالعالم يتم تقسيمه إلى مراكز وهوامش وكلما ازداد ثراء المراكز ازداد فقر الهوامش. فإذا كان الميكانيزم الأساسى للعملة هو تعاضد أسعار المواد الأولية وكانت الأخيرة هى المقوم الأساسى لثروة الدول الفقيرة فإن تنامى العملة يعنى سحق الدول الفقيرة لحساب الدول الغنية.

ومن ناحية أخرى فإن الإلتزام بقانون السوق الذى يحكمه الأقوى واستهداف الجانب الربحى دون أية اعتبارات أخرى وعمل آليات العملة فى تقليص سلطات الدولة لحساب أقوى السوق وتخفيض التأمينات الاجتماعية أو إهدارها. كل ذلك يعنى تركيز الثروة فى يد النخب المسيطرة على حساب الشعوب حتى داخل الدول الغنية ذاتها.

فهل يجب - كما يقول الرئيس الفرنسى الراحل فرانسوا ميتران - أن نسمح بتحول العالم إلى تلك السوق الشاملة الواحدة التى يمكن أن يعمل فيها فقط قانون الأقوى بهدف وحيد هو: كيف يمكن الحصول على أكبر ربح فى أقصر وقت؟ ذلك العالم الذى تستطيع فيه المضاربة خلال ساعات أن تدمر عمل ملايين النساء والرجال؟! (٢١). إذن فالحللم الزائف للعملة يغوى أبناء الأرض بمقايضة مقوماتهم الروحية بالمقومات المادية بينما ما يحدث فى الواقع بالفعل أن الجماهير الغفيرة من شعوب العالم تقايض مقوماتها المادية والروحية معاً فى مقابل الوهم.

لكن الرؤية الإسلامية لا تقف عند حدود هذا الموقف الاقتصادي من العولمة لأنه حسب تلك الرؤية فإن المسألة تنطوي على صراع أيديولوجي كامن وراء الصراع الاقتصادي، والزعم بأن سقوط الماركسية يمثل شاهداً واقعياً على انتصار الليبرالية وسقوط عصر الأيديولوجيات ونهاية التاريخ ببلوغه غايته الحضارية فى الليبرالية الغربية كما يقول فوكوياما هو زعم يجافى الحقيقة لأن سقوط الماركسية يعود لتناقضاتها الذاتية ولا يمثل بالضرورة شاهداً على انتصار الليبرالية التى تواجه أزمات شديدة فيما يحدث بفعل العولمة الآن من استقطاب حاد لشعوب دولها الغنية (دول المركز) بين نخب شديدة الثراء وجماهير غير قادرة على الاحتفاظ على الحد الأدنى من الأمان المعيشى الذى كانت تحتفظ به الشرائح العريضة من الطبقة الوسطى فى ظل دولة الرفاه. ولأن الغرب لا يفكر إلا فى نطاق ذاته كان هذا الزعم بأن سقوط الماركسية يعنى سقوط عصر الأيديولوجيات فالأيديولوجية الماركسية وليدة الحضارة الغربية فى النهاية ومن ثم فإن سقوطها قد يعنى سقوط أيديولوجيات تلك الحضارة ولا يعنى سقوط الأيديولوجيات الأخرى الخارجة عن نطاقها.

وإذا أردنا أن نفهم الفكر الذى يقود الحضارة الغربية الآن فلا بد أن نعود إلى مرحلة المخاض التى نتج عنها أى إلى الربع الأخير من القرن التاسع عشر فالحضارة الغربية منذ عصر النهضة تشكل فى إطار الفكر العلمانى الذى ينطلق من الأسس المعرفية الأغريقية التى تقتصر على العقل وخبراته فى إدراك الحقائق وتصريف شئون الحياة وفى هذا الربع الأخير من القرن التاسع عشر بلغ الصراع مداه بين الفلسفات المادية والمثالية «والتي تشترك فى أسسها العلمانية» دون الوصول إلى أى يقين معرفى مما سبب حالة من

القلق الإنسانى وبعد أن حاول الماديون طرد الدين من العالم بينما أراد المثاليون أن يحددوا له مكان إقامته جاء نيتشة وأعلن عن موت الإله بل وطالب بالقضاء على ظلال الإله الكامنة فى المشروعات الفكرية المادية والمتمثلة فى المنظومات العقلانية والأخلاقية لتلك المشروعات المادية وكذلك فى الوعود الإنسانية التى تبشر بها تلك المشروعات وجاءت المشروعات الحديثة كاعتناق ضد الرؤية الدينية والمشروعات التأملية الهيجلية حتى توج القرن التاسع عشر بأفكار وليم جيمس البراجماتية التى أسقطت الحقيقة وعملت على اختزالها فى مفهوم المصلحة أما شلر الذى يتنمى إلى نفس المدرسة البراجماتية فكان أكثر صراحة حيث أعلن استناد فكره إلى مقولة بروتاجوراس السفسطائى: «الإنسان مقياس كل شىء»

وبتحليل بنية الفكر القائد للحضارة الغربية الذى يقود العولمة الآن نجد أنه بانتقال مركز الثقل الغربى إلى أمريكا بعد الحرب العالمية الثانية فإن قيادة الفكر الغربى بوجه عام انتقلت بدورها إلى الفكر البراجماتى الأمريكى الذى ينطلق من القناعة المسبقة بعجز الفكر الفلسفى الغربى (المادى والمثالى معاً) عن إدراك الحقيقة المعرفية ومن ثم من اللاجدوى عن مواصلة البحث فى الأسس المعرفية الإستمولوجية أو العمل على الوصول إلى اجابات فلسفية عن الأسئلة المصيرية الكبرى والإعتياض عن ذلك بالإلهاء الحسى النفعى المتواصل، وعلى ذلك فالبراجماتية لا تعتقد بصحة الأفكار إلا بمدى ما تحققه من منفعة عملية والحقيقة لديها هو كل ما يأتى عن تجربيه أو تطبيقه تلك المنفعة فليس مهماً مثلاً أن يكون الله موجوداً أو غير موجود وإنما المهم على حد قول وليم جيمس الأمريكى (أهم منظرى البراجماتية): «أن نتمتع بإلهها إذا كان لدينا إله»^(٣).

وعندما تكون المنفعة العملية هي المعيار الوحيد للحكم على الأشياء فإن ذلك يؤول في التطبيق العملي إلى إحلال المصالح الخاصة محل المبادئ والقيم التي تحكم الأمور فالبراجماتية هي عملية انتقال بارعة من المذهبية الفلسفية الملتزمة إلى التبرير الفلسفي لكل ما هو قائم بالفعل على أنه هو ما تفرضه الإحتياجات الإنسانية وهي في الوقت نفسه تعبير دقيق للغاية عما بلغه النسق الفكري العلماني للحضارة الغربية في أقصى نموها المادي. ومن هنا كان التركيز على اللذة والإستهلاك المادي فالإلهاء الحسي المتواصل صار بديلاً عن البحث الفلسفي الحقيقي. كما أن البراجماتية باعتمادها النفعية كمقياس للحقائق لا تؤدي إلى تبرز الإنتهازية فقط وإنما إلى صبغها بصبغة الحقائق الجديرة بالإحترام والتقدير.

وفي أوائل القرن العشرين كتب وليم جيمس في رسالة إلى أحد أصدقائه أن البراجماتية ستمدغ فكر العالم كله بطريقتها في خلال عشرة سنوات. وإن كانت تنبؤات وليم جيمس قد تأخرت بعض الوقت إلا أن الواقع الذي تحقق أثبت أنها كانت صحيحة بالفعل فبانتقال مركز الثقل الغربي إلى أمريكا بعد الحرب العالمية الثانية قادت الفلسفة البراجماتية الفكر الغربي بوجه عام ثم كانت هي المسؤولة عن التدهور السريع في سقوط المعسكر الشرقي أيضاً.

والذي يؤكد اكتساح البراجماتية للمعسكر الشرقي أيضاً أن أغلب الرؤساء الذين جاءوا إلى تلك البلاد بعد سقوط الشيوعية عندما سألوا عن الفلسفة التي يؤمنون بها. أجابوا: إنها الفلسفة البراجماتية.

والتطبيق السياسي لتلك الفلسفة الأمريكية يعني اختزال طاقات شعوب

العالم من خلال العولمة إلى طاقة دفع لماكينة الحياة البراجماتية الإستهلاكية للنخب الرأسمالية والسياسية المسيطرة. فهي تبتعث من خلال آليات الغرب الأمريكى الإعلامية المسيطرة على العالم أشد الرغبات الإستهلاكية سعاراً فى نفوس الناس فى نفس الوقت الذى يتم فيه إغراؤهم بتحطيم كل المبادئ والقيم فى سبيل تحقيق تلك الرغبات. ولأن موارد العالم أجمع - كما قلت - لا تكفى لتعميم تحقيق تلك الرغبات فإنه لا يستطيع تحقيقها إلا أكثر المتصارعين براجماتية بينما يؤول لهاث الجماهير الغفيرة إلى طاقة دفع لماكينة تلك الحياة البراجماتية التى تفوقها النخب السياسية والاقتصادية المسيطرة على العالم.

لكن مشكلة التى يقع فيها الغرب الأمريكى نفسه الآن أن البراجماتية التى استطاعت بتأكيداتها على عجز الفكر الفلسفى الغربى عن إدراك الحقيقة المعرفية تحطيم كل الفلسفات والأيدىولوجيات الغربية قد تولد عن تداعيات عجزها الفلسفى نفسه وما تنطوى عليه من مضمون عبثى وتداعيات نتائج تطبيقاتها الظالمة على شعوب المجتمعات المعاصرة تلك الأفكار المابعد حدثية التى تؤكد على هذه التداعيات دون تقديم مشروع بديل لها.

وتفسير ذلك أن البراجماتية تصنع إطاراً إلهائياً لمضمون عبثى فهى تقول لك أبحث عن المصلحة والمتعة واللذة بدلاً من أن ترهق نفسك فى البحث عن الإجابة على الأسئلة المصيرية فى الحياة مثل: من أين جئنا؟ وإلى أين نذهب؟ وهل الله موجود أم غير موجود؟ وما هى العدالة؟ وما هى القواعد التى يجب أن تحكم علاقتنا بالآخرين؟.

فالبراجماتية تصنع من خلال الحث المستمر على المصلحة والمتعة واللذة تصنع إلهاءً متواصلًا عن التفكير في كل ذلك. ولكن العقول المفكرة في الغرب لابد أن تنبته إلى ذاتها وتكتشف بعد مرحلة من الإلهاء أن البراجماتية لم تجب على شيء من تلك الأسئلة المصيرية ومن هنا جاءت ما بعد الحداثة. لأننا إذا قمنا بطرح حالة الإلهاء الحسى من البراجماتية فلن يبقى منها غير العبث.. وتقوم نزعة ما بعد الحداثة على رفض كل فلسفة تقوم على النسق الكلى أو على مفهوم التاريخ أو على مفهوم التطور فضلاً عن الأساس الموضوعي للمعرفة. وكذلك رفض أى معنى لكلمات مثل: يقين أو دوافع أو حق أو ذات. وإذا كانت الحداثة تمثلت كاعتناق من الرؤى الدينية والمشروعات التأملية الهيكلية فإن الموقف المابعد حدائى الذى ينطلق من تداعيات اللامعرفية الفلسفية لا ينزع المشروعية فقط عن الرؤى الدينية والأيدىولوجيات الفكرية التأملية ولكنه ينزعها عن المشروعات الاعتقادية المضادة لها أيضاً. فما بعد الحداثة تحمل من الحداثة الذات المتقسمة المفتتة ولكنها تحمل كل مسافة نقدية منها أيضاً فهى «ضد الضد» وذلك لأن الشيء الأساسى الذى تحمله هو قناعتها بعدم إمكانية المعرفة. وإذا كان الحقيقى هو «العقلانى (المادى) فى عصر التحديث وهو المادى المتغير فى عصر الحداثة ففى عصر ما بعد الحداثة لا يوجد أى أساس للتمييز بين الحقيقى والزائف وبالتالي فلا حقيقى ولا زائف»^(٤).

وتشهد ثقافة ما بعد الحداثة على أن الرأسمالية المتأخرة (التي يتم تعميمها من خلال العولمة) أدت إلى جعل الذات المعاصرة شبكة مبعثرة مزاحة من المركز - من التعلقات اللبديدية المفرغة من الجوهر الخلاق ومن

الجوانية النفسية فهي وظيفة عابرة من هذا الفعل أو ذاك من الاستهلاك أو خبرة وسائل الإعلام أو العلاقة الجنسية أو الموضة» (٥).

وهكذا فإن الأفكار الما بعد حدثية لا تعمل فقط على تأكيد المضمون العبثي للبراجماتية ولكن أيضاً على تجريدها من إطارها النفعي الإلهائي الزائف وهي مع ذلك لم تقدم أى بديل فكري فهي عملت على تفكيك كل التصورات والأفكار وعلى تفكيك الإنسان ذاته فى النهاية.

الخلاصة من كل ما سبق أن الفكر الكامن وراء العولمة هو الفكر البراجماتى النفعى الإلهائى ولكن يزاحمه الآن ويقف خلفه فى وعى العقول الغربية المفكرة الفكر الما بعد حدثى الذى يتضمن من بين ما يتضمن البعد التفكيكى التدميري.

وعلى الرغم من أن مشارف القرن الجديد تنبىء بتفوق قوى أخرى اقتصادية وتكنولوجياً مثل اليابان وألمانيا على الولايات المتحدة الأمريكية وهو ما يرصده محللون عالميون مثل لستر نارو الأمريكى (٦) وهانس بيترمارتين وهارالد شومان الألمان (٧) وشينتارو إيشهارة الياباني (٨) إلا أن هذه القوى لا تخرج فى الأساس عن المنظومة الفكرية الحضارية الأمريكية ولا تمثل أيديولوجياً تناقضاً جوهرياً معها بل أن هاتين الدولتين قد تراجعت منذ عصر العولمة عن الكثير من أهدافها الاجتماعية وكما يقول الألمان هانس بيترمارتين وهارالد شومان: «إن الدول التى لا تزال ثرية حتى الآن قد راحت نفسها تقوم فى ظل العالم الجديد - الذى لم يعد فيه للبعد الجغرافى أهمية تذكر فى تحديد العلاقات المتينة القائمة بين المدن - بهدم ماسادها حتى الآن من نظام للتكافل الاجتماعى بسرعة تدعو للدهشة

والعجب «وفى نفس الوقت تلم الثقافة الواحدة العالمية شمل النخبة دون أهمية تذكر للإنتهاء القومي»^(٩).

لذلك فعلى الرغم من تصاعد قوى عالمية كاليابان والصين خارج النطاق الإقليمي الغربى فإن تلك القوى لا تملك المنظومة الفكرية التى تستطيع مواجهة ما يشكله ذلك الفكر من إغراء للنخب والشعوب على السواء خصوصاً بعد استلابها الحضارى للغرب على امتداد عشرات السنين. فلا تملك الكونغوشوسية من خلال منهجها الإصلاحى الطوباوى الموجه إلى الفرد ولا البوذية القائمة على القمع الدائم للذات تقديم المنظومة الأيديولوجية الجماعية القادرة على المواجهة بخلاف الإسلام الذى يمثل منظومة أيديولوجية مترابطة لا تقبل التجزؤ تكشف عن الحقيقة وتدعو إلى المساواة والعدل وتحقيق الأمان المعيشى والإنحياز للفقراء والمستضعفين فى الأرض. وتربط بين ذلك وبين الإيمان بالله ذاته رباطاً عضوياً لا ينفصم. وكما يقول روبرت كابلان^(١٠) الخبير الأمريكى بشئون العالم الثالث: «فى هذا الجزء من العالم سيكون الإسلام بسبب تأييده المطلق للمقهورين والمظلومين أكثر جاذبية فهذا الدين المطرد الانتشار على المستوى العالمى هو الديانة الوحيدة المستعدة للمنازلة والكفاح». فالتصور الإسلامى هو الذى يتناقض تماماً فى منطلقاته مع كل الأسس والغايات التى تنطلق منها الأفكار البراجماتية والمابعد حدائية الموجهة للعولمة الأمريكية. وهو التصور الذى يمتلك الإجابة على الأسئلة المصيرية الباعثة على القلق الإنسانى ولا يحتاج إلى هذا الإلهاء الحسى الذى تقدمه البراجماتية فى النموذج الاستهلاكى الغربى الذى تبشر به العولمة.

كما أن الإسلام بمنظومته الرسالية لا يستطيع مكتوف الأيدى أمام ما

تمارسه العولمة الأمريكية من سحق للشعوب وتحطيم للكينونة الروحية للإنسان وبعد سقوط الأيديولوجيات الغربية يظل الإسلام الأيديولوجية الوحيدة القادرة على استنهاض شعوب العالم الفقيرة والمستضعفة وإنقاذها من مظالم العولمة بل وإنقاذ الطبقات الفقيرة والمستضعفة في بلاد الغرب الأمريكي ذاتها.

ولكننا يجب أن نعترف أن بلوغ الإسلام تلك الأهداف يتطلب شروطاً محددة تتمثل في وجود القادة القادرين على اتخاذ القرارات الشجاعة المستقلة في ظل ضغوط العولمة البالغة القسوة. والشعوب القادرة على التضحية والصمود والعطاء في المراحل الأولى من المواجهة التي ستجني ثمارها بعد ذلك ويتطلب قبل كل ذلك إجتهداً فكرياً نشيطاً ومبدعاً يقصر عنه الفكر الإسلامى الآن. وليس أمامنا الآن إلا أن نبلغ تلك القدرات أو نرتضى بفرضيات العولمة لنعيش في جحيم القهر والعبودية إلى الأبد.

(١) الزمان العربي والمستقبل العالمي. ص ٥٣.

(٢) نقلاً عن البرونسورف - يرلوف: نهاية التاريخ أو البحث عن تاريخ جديد الثقافة العالمية العدد ٨٥ - نوفمبر - ديسمبر ١٩٩٧ ص ١٧.

(٣) البراجماتية

(٤) دكتور عبدالوهاب المسيري العلمانية الشاملة.

(٥) تيرى إيجلتون (الرأسمالية والحداثة وما بعد الحداثة) ضمن مقالات كتاب ما بعد الحداثة: ت أحمد حسان ص ٢٣

(٦) صراع القيمة.

(٧) فسخ العولمة ٦٥

(٨) اليابان يمكنها أن تقول. ٦٤

(٩) فسخ العولمة ص ٦٤

(١٠) نقلاً عن هاس بيترمارتير وهارالدشومان فسخ العولمة. ص

تعقيب الدكتور: محمد عبد المنعم البري

لقد تعرت الحقيقة المستورة وتكشفت جوانبها الخفية وهذا الحديث الراهن عن العولمة ذكرني بما قرأناه قديماً عن المخططات الصهيونية ذات الأصل اليهودي. وهم يدعون إلى جعل العالم دولة واحدة وإزالة الحواجز بين البشر مثل الدين واللغة والعادات والتقاليد ومن بصمات العولمة إلغاء اللغة والاستعاضة عنها بالعامية كما نشاهد في الإعلانات وقديماً سئل الإمام الزمخشري رحمه الله: ما سرّ عشقك للعربية؟ فقال الإمام: لأن القرآن الكريم سيد الكتب عربي ومحمد سيد الأنبياء والمرسلين عربي ولسان الحق عز وجل يوم القيامة عربي.

ويقول الحق سبحانه وتعالى: «كنتم خير أمة أخرجت للناس» ورغم تخلفنا وفقرنا فما زالت راية الحق ترفرف في كل مكان ومازلنا نتفوق على أمم الأرض بعقائدنا وقيمنا وأخلاقنا وفضل كتابنا.

إنهم يقولون: أنه من قواعد العولمة التكامل الاقتصادي فهم يحددون لك ما تزرع وما تصنع فإذا التزمت بذلك فلن تستطيع أن تخالف ما يأمرونك به لأنك إن فعلت ذلك فلن تجد ما تطعم به الناس إن غضب عليك من يأمرونك وتكون النتيجة أن ينطلق الناس كالكلاب الجائعة في الشوارع. فكيف من الممكن أن تلتزم بذلك.

وفي مصر بالذات فإنه من غير المعقول أن نعتمد على الغير فمصر كانت دائماً مصدر خيرات الأرض وتدبروا معي قول الله تعالى على لسان يوسف عليه السلام: «اجعلني على خزان الأرض» فخزائن الأرض هذه هي مصر أرض النيل. لقد وقفت على شاطئ المسيسي عند زيارتي

لأمريكا وقلت: ياسبحان الله! هذا هو الذى يقولون عنه فى مناهجنا التعليمية: أن النيل أطول الأنهار فى العالم بعد المسيسى مع كونه أضيق من ترعة الإسماعيلية وكأنهم يقولون ذلك لأنهم يظنون أن لا أحداً من هؤلاء المساكين سيذهب إلى أمريكا وينظر ما هو المسيسى. إنهم يخربون حضارتهم بأيديهم ويفسدون البيئة ويسممون أجواءهم بما تطلقه مصانعهم من غازات.

ونحن نعلم أن الكبد هو مخزن السموم وأن الفيروس «سي» هو الوباء الذى لا تقتله النار ولذلك فإن من أهم أسلحتهم التدميرية التى يواجهونها الينا هى ملايين الأطنان الضخمة الكبد الأمريكية الملوثة بالفيروس «سي» فالذى يحدث أن الكبد المصرية النقية تصدر إلى الأمريكان فى مقابل الأطنان المضاعفة من الكبد الأمريكية الملوثة بالسموم من أجل خزائن الحيتان عندنا على حساب صحة جماهير المسلمين لأن من مستلزمات العولمة أن يمتنع الغرب عن أكل اللحوم الملوثة ليتم تصديرها لشعوب الدول النامية لقتلها بها.

إننا لم نسمع عن هذه الأمراض والفيروسات مثل «سي» و«الإيدز» وغير ذلك إلا من خلال العولمة، وفتح الأسواق بلا قواعد ولحساب من لا دين لهم ولا مبادئ ولا أخلاق ومن علامات الساعة أن يؤتمن الخائن ويخون الأمين فهم يهدمون الأجساد والأديان والأخلاق وعلى الرغم من أسلحتهم العديدة: إعلام وسياسة وقوة نووية فقد يكون الاقتصاد أخطر وسائلهم.

ونحن تخلفنا اقتصاديا لأننا أهملنا نصوصنا الإسلامية التى تحض على التنمية الاقتصادية فوقعنا فى كل تلك المشاكل.

ويصرخ في معترض: كيف تفكرون؟! أمريكا تعطينا قمحاً فهل شريعتكم التي تريدون أن تطبقوها ستعطينا قمحاً؟!

وأقول لذلك المعترض: ما بالك لو طبقنا نصاً واحداً هو قول الرسول ﷺ: «من أحيا أرضاً مواتاً فهي له». فالأرض البور في الإسلام هي ملك مشاع كالماء والهواء بالنسبة لمن يستصلحها ومهمة الدولة هي امداد هذه الأرض بالوسائل مثل الماء والكهرباء التي تمكن من يريد استصلاح الأرض من استصلاحها.

يقول تعالى في سورة فصلت: ﴿قُلْ أَنتَ كُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ (٣٠) ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (٣١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٢﴾

لقد خلق الله الأرض في يومين والسموات في يومين وقدر الأقوات لأهلها في يومين.

لعمرك ما ضاقت بلاد أهلها

ولكن أخلاق الرجال تضيق

فالمسألة ليست في الندرة ولكن في عدالة التوزيع وفي القدرة على الإصلاح والتنمية ونسأل الله أن يرزقنا الرجولة في مواجهة اليهود وحيلهن

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الجلسة الرابعة

العولمة وقضايا الفكر الإسلامى

رئيس الجلسة : الأستاذ الدكتور / أحمد المهدى
المتحدث الأول: المفكر الإسلامى الدكتور / محمد عمارة
المتحدث الثانى: المفكر الإسلامى الدكتور / على جمعة
المعقَّب : المفكر الإسلامى الدكتور / محمد مورو
وتعقيبات أخرى

كلمة الدكتور / محمد عمارة:

أصرح بداية أنني كنت ممتنعاً عن حضور هذا المؤتمر كما أبلغت الأستاذ مبروك لأننى قرأت إحصاءات عن مجموع الندوات التى عقدت حول العولمة فوجدت أننا أمام مئات من الندوات التى عقدت حول هذا الموضوع فى الفترة الأخيرة.

وقد كنا منذ أسابيع قليلة فى أحد الندوات بأبو ظبى (الإمارات) وأثرت هناك هذه القضية فقلت :إننا نقع فى خطأ ترك تحديد جدول أعمالنا للغربيين فهم يحددون لنا أجندة مايجب أن نتحدث فيه، حتى أنني ضربت مثلاً فقلت ، إننى أخشى أن نتحول لدور المثقف (الخالى شغل) فكأننا قاعدون ويدانا على خدنا ننتظر المقاتل الذى يحدد لنا مايجب أن نتكلم فيه. فعندما قال لنا المقاتل الغربى أن لديه حادثة ظللنا عقوداً من الزمن نتحدث فى الحادثة. وفجأة قال لنا هناك شىء جديد يسمى مابعد الحادثة فتركنا الحادثة دون أن نصنع الحادثة التى دعونا إليها وبدأنا الحديث فى ما بعد الحادثة . ثم قال إن لديه أصولية فبدأنا نتكلم فى الأصولية.. ثم قال إن لديه تنوير فتكلمنا فى التنوير وأخيراً ها هو يقول لنا أن لديه عولمة فبدأنا نتكلم فى العولمة.

ومن هنا فإننى أعتقد أن العقل العربى والمسلم يحتاج إلى وقفة يصنع لنفسه فيها جدول أعماله أى يعى التجديد ويجدد موقفه من المشكلات المطلوب منه أن يجنى من ورائها ثماراً . أى لا يتحول إلى مجرد صدى أو رد فعل لجدول الأعمال الذى يحدده الفكر الغربى والإعلام الغربى لأننا يجب أن نستائل بالنسبة لقضية العولمة: هل نحن بالفعل بصدد قضية جديدة؟

ففجأة وجدنا مصطلحاً أُلقي به في الساحة فبدأنا نتحدث عنه مثله في ذلك مثل ما يحدث الآن من تكرار الحديث عن القرن الواحد والعشرين كما لو كان ما بين (٣١ ديسمبر) سنة ألفين و(١ يناير) سنة ألفين وواحد هناك نقلة زمنية... هناك تغير كفى في الموضوع !.

فأنا بودى أن نقف وقفة مستقلة مع النفس نبدأ بعدها الحديث من خلال منطقنا نحن .. من خلال أو لوياتنا نحن ونحدد جدول أعمالنا على أساس الأولويات التي تواجهها.

وأنا في الموضوع أميز - وأعتقد أن هذه ليست نقطة خلافية وكلكم تتفقون حولها - بين العالمية والعولمة لأن العالمية تمثل الأفق الإسلامى لأن الإسلام دعوة للعالمين منذ المرحلة المكية وبالتالي فإن العالمية ليست غريبة عن الرؤية الإسلامية بل الرؤية الإسلامية نزاعة إلى الرؤية العالمية إنطلاقاً من أن الإسلام هو الرسالة الخاتمة والعالمية.

والعالمية تعنى أن هناك حضارات متعددة ومتميزة أى أنها ليست متماثلة وأيضا ليست منعقدة منعزلة ومعادية وإنما هناك نوع من الخصوصية ونوع من التشابه . أى أن هناك مشترك بين كل هذه الحضارات وهناك بصمات ثقافية وحضارية تميز كل حضارة عن الحضارات الأخرى . وبين هذه الحضارات هناك قاسم مشترك تتفق عليه هذا هو البعد العالمى أو هذه هى العالمية فى الكوكب الذى نعيش فيه.

والمفروض أن تكون المؤسسات الدولية لهذا النظام العالمى - إذا جاز استخدام هذا المصطلح - ممثلة للخصوصيات المختلفة والقاسم المشترك بين الحضارات العالمية.

أما إذا جاءت حضارة من الحضارات واجتاحت العالم بقوتها وفرضت
نمطها فى الثقافة والمثل والقيم وطريقة العيش على العالم فهذه الحضارة
لا يمكن أن تكون عالمية وإنما هذا ما يسمى خطأ بالعمولة لأن العمولة من
المفروض أن تعنى شيئاً عالمياً ولكن هذا الذى يفرض الآن باسم العمولة
ليس عالمياً وإنما هو الرؤية الغربية .. النظام الغربى .. الهيمنة الغربية كل هذا
يفرض على الحضارات الأخرى.

ومن هنا يكذبون إذا تحدثوا عن التنوير .. يكذبون إذا تحدثوا عن الشرعية
الدولية .. فكل هذا لاعلاقة له لبالدولية ولا بالعالمية ولا بالقاسم المشترك
بين الحضارات الإنسانية.

إذاً لابد من التمييز بين العالمية التى نحن معها ونحن دعائها وبين هذا
الذى يبشرون به باسم العمولة لأننى قد تابعت بعض الأبحاث التى قدمت
فى الندوات فوجدت أناساً عقلاء ووجدت أناساً ليسوا أناساً أصلاً. فللاً
سف الشديدي أجد أحد الأشخاص الذين ولدوا بمنزل الوحي بالمملكة العربية
السعودية يتحدث عن العمولة على أنها قدر لامفر منه. هذا رجل ينكر
القضاء والقدر الإلهي ويتحدث عن أمريكا على أنها قدر فهل مثل هؤلاء
الأناس هم الذين يرسمون لهذه الأمة طريقها ومسارها. إنهم يتحدثون عن
العمولة على أنها قطار لأبد أن نركبه وإلاضاع منا الطريق وضعنا فى هذا
العالم وهذا إنكار للقضاء والقدر.

ويكذبون عندما يقولون أن وسائل الإتصال جعلت العالم قرية واحدة.
صحيح أننا أمام ثورة كبيرة فى عالم الإتصال لكن هذه القرية الواحدة
بيوتها ليست سواء .. سكانها ليسوا سواء. أى أن هذه القرية بها الظالم
والمظلوم بها القاتل والمقتول .. بها من يتأجج بأسلحة الدمار الشامل ومن

ينزع سلاحه وتنزع أظافره. أنظروا لما حدث اليوم : لقد ضرب الطيران الأمريكي أحد الرادارات العراقية قرب البصرة لماذا؟

لأن هذا الرادار رصد طائرات بريطانية فوق أرض العراق ! . أى أنه مجرد أن تفتح عينك على من يقتحم عليك أرضك وسيادتك تستحق أن تضرب. إذاً أين هى القرية الواحدة؟ !.

وإسرائيل لديها الأسلحة النووية وتقوم بهذا الاقتراء الذى تمارسه فى ظل هذه القرية الواحدة.

وعلى ذلك فنحن نريد أن نسأل أولئك الذين يطالبوننا بركوب قطار العولمة على أساس أن العالم قد غدا قرية واحدة : هل المطلوب مننا أن نركب القطار كعبيد؟ !.

فحديثهم هذا عن القرية الواحدة لايعنى أن الناس سيصبحون سواسية فالإغتصاب للأرض والعرض والحرمان والمقدسات فى بلادنا على قدم وساق والأمة الإسلامية تحرم وحدها من حق تقرير المصير فى فلسطين.. فى كشمير .. فى الفلبين.. فى البوسنة والهرسك وبلاد البلقان.. فى كل أنحاء أمتنا. حقك فى التنمية .. حقك فى أن تحكم بالقانون الذى تريده كل ذلك محرم على هذه الأمة.

فالكلام عن القرية الواحدة لايعنى أن أهل هذه القرية الواحدة أصبحوا سواسية وبالتالي نحن مدعوون أن نكون مواطنين كاملى المواطنة فى هذه القرية الواحدة . وأريد أن أقول أن ظاهرة أن يفرض الغرب هيمنته على الآخرين ليست ظاهرة جديدة . فعندما كانت الامبراطورية البريطانية

لاتغرب عنها الشمس ألم تكن هذه عوامة ؟ كان القرار يصدر فى بريطانيا وينفذ فى مصر وفى الهند وفى بلاد لاتغرب عنها الشمس .

وعندما كان الرومان يحكمون العالم وكانواهم الأشراف والسادة وغيرهم البرابرة ألم تكن هذه عوامة؟! .

نعم إننا أمام صعود فى وسائل الإتصال الحديثة ولكن الحديد فى العوامة وأخطر ما فيها أن هذه الهيمنة الغربية تقن باسم الشرعية الدولية وباسم النظام العالمى .

فقيم الغرب وثقافته يعملون على فرضها بالإعلام بالفكر بالجوايس بالأختراق على كل الدول والحضارات الأخرى . والغرب الآن يقن هذا الإختراق ويقن هذه الهيمنة بوثائق وبرامج باسم النظام العالمى الجديد .

ومؤتمر مثل مؤتمر السكان عندما يعقد كى تكون هناك وثيقة تحت مظلة الأمم المتحدة لتقن القيم الغربية فى التحلل والإنحلال إلى آخر فهذا جديد . فالغرب كانت له قيم يسبها بسبل غير مقننة ولكن أن تتحول إلى قانون عالمى .. إلى وثيقة عالمية تحت مظلة الأمم المتحدة فهذا هو الجديد .. وكما رأيت فى وثيقة السكان فإن المراهقين والمراهقات يكون لهم كحق من حقوق الإنسان أن يتمتعوا بالثقافة الجنسية عالية المستوى وأن الأباء والأمهات يكون عليهم أن يقدموا لأبنائهم هذه الثقافة . أن يكون حمل المراهقات حق من حقوق الإنسان وإجهاضهن حق من حقوق الإنسان بينما الزواج المبكر جريمة . أنظروا إلى ماذا يدعون: أن يكون الزنا المبكر حق من حقوق الإنسان أما الزواج المبكر فيكون جريمة ضد حقوق الإنسان ! .

بل وحتى العمل المبكر يكون جريمة ضد حقوق الإنسان ولو كان بعد

البلوغ وحتى سن الخامسة عشر سنة.. ونحن جميعاً كنا فلاحين وكنا نعمل في هذه السن ولكن ها هي منظمة العمل الدولية تقرر أن ذلك جريمة.

أقول : إننا الآن أمام تصعيد لهذه الهيمنة القيمية الغربية لأنها تتحول إلى قوانين تفرض على الناس.

كذلك في موضوع المرأة فإنك تجد في مؤتمر السكان أو في مؤتمر بكين لا أقول موضوع مساواة الرجل بالمرأة فهذا مطلب إسلامي «ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف» إنما حث المرأة على إلغاء حتى الفروق الطبيعية والفطرية بينها وبين الرجل لدرجة أن الأناجيل الآن تترجم ترجمات جديدة تسمى فيها الذات الإلهية بالذكورة والأنوثة لكى تكون هناك مساواة لأن أمثال نوال السعداوى يعترضون على ذلك متسائلين : لماذا يكون الله ذكراً.

هذه هي القيم التي توضع الآن في مواثيق دولية لإلغاء الفطرة التي فطر الله الناس عليها وفرض الرؤى الغربية الديانات والأيديولوجيات التي تتمرد حتى على الديانات الغربية مثل النصرانية. إننا نشهد الآن في الفكر الغربى تحولات فى اتجاه تهويد النصرانية الغربية أى بدلا من أن تعترف اليهودية بالنصرانية يحدث الآن فى الفاتيكان أن يصير الإله هو يهوه فى أحد المؤتمرات قال البابا يوحنا بولس الثالث أنه قد عقد المؤتمر ليجتمع مائتان قس من الكاثوليك والبروتستانت لتغيير الأناجيل التى كانوا يتحدثون عنها على أنها شيء مقدس. بما لا يعادي اليهود والكنيسة التى ظلت قروناً عديدة تبيع صكوك الغفران الآن تطلب من اليهود التوبة والغفران.

هذه هي تحولات العولمة أى أن هناك الآن تحولات تتم فى الغرب ثم يعملون على فرضها على العالم أجمع.

نحن نقرأ عن الغرب أن هناك رجال دين من الشواذ .. أن الكنائس تزوج الشواذ .. بل أن في إنجلترا البلد المحافظ أحد وزراء وزارة العمال الحالية شاذ الرجل الذى يعيش معه يحضر جلسات وزارة العموم فى الغرفة المجاورة على أساس أن له أمتياز الزوجة ومثل هذه القيم تفرض الآن على العالم باسم العولمة. ومع كل هذا يطالبوننا بسرعة ركوب القطار وأن نرضى بهذا القدر الذى يفرض علينا.

وأريد أن أتسائل معكم: لماذا الغرب يريد أن يفرض علينا العولمة؟.

القضية ليست سحراً ولكن هناك فى بنية الفكر الغربى والحضارة الغربية هذه النزعة للهيمنة. فنحن قد اعتدنا مايسمى بالمركزية الغربية أى أن الغرب لايعترف بالآخر ويريد أن يفرض ذاته عليه وأنتم تابعتم وقرأتم كل الذى قيل وكتب بعد سقوط الاتحاد السوفيتى من أن الإسلام الآن هو العدو لأنه مستعصياً على العولمة وإنه للآن لم يتبن النموذج الغربى ولذلك فإن على حلف الأطلنطى أن تتوجه آلهته الحربية إلى العالم الإسلامى. كل ذلك الكلام يقال على مستوى عال وليس تبعاً لنظرية المؤامرة مثلما يتهمنا بعض المتغربين . وإنما هذا الكلام معلن على أعلى المستويات الغربية وهى مستويات مسئولة فليس هذا الكلام كلام المثقفين غربيين إنما هو كلام على مستوى صناع القرار.

سأحكى لكم حكاية ذات صلة بما نقول لقد قرأت مقالاً الأسبوع الماضى للسيد ياسين يثنى فيه علي بحث لجميل مطر. وجميل مطر هذا من الباحثين الجادين وأنا أحترمه كثيراً ولقد وصف مطر الحضارة الغربية بأنها حضارة داروينية نسبة إلى دارون أى أن الحضارة الغربية فى رأيه تقوم على الصراع

ضد الحضارات الأخرى مثل الصراع بين الأحياء عند دارون وهذا يستفزع منه صراع الحضارات ونهاية التاريخ إلى آخر هذه المقولات..

وعلى الرغم من أنني سعدت بإعجاب السيد ياسين بأراء جميل مطر ومع ذلك فقد ضحكت لأننى عندما كنت أكتب كتاباً عن المودودى فى السبعينات وجدت أن المودودى عندما تحدث عن النظريات التى تقوم عليها الحضارة الغربية فإنه حددها فى: فلسفة هيجل فى التاريخ - نظرية دارون فى الأحياء - الصراع الطبقي عند ماركس . وتكلم المودودى فى ذلك كلاماً نفيساً وعبقرياً لماذا ؟ . لأن نظرية هيجل فى فلسفة التاريخ تذهب إلى أن العصر الحديد ينسخ العصر القديم . . ليس هناك ثوابت (عملية نسخ)... عند دارون القوى ينسخ الضعيف ويزيله .. عند ماركس الطبقة الوليدة تنسخ الطبقات السابقة .. إذاً المحور فى الحضارة الغربية هو الموقف الصراعى: طرف يصارع الآخر وينهيه ويزيله وينفرد بالميدان وعندما كتبت كتابى عن المودودى وعرضت أفكاره هذه فى باب عن نقد الحضارة العربية وكنت قد نشرت جزءاً من هذه الدراسة قبل طبع الكتاب فى مجلة العربى فى أوائل الثمانينات فإذا بالدكتور فؤاد زكريا ينفذنى فى العربى ويقول: هذا الذى كنا نتصور أنه مستنير هاهو يهاجم الداروينية ويقول عنها هذا الكلام.

لقد تكلمنا عن أن الداروينية قدمت مبرراً للاستعمار لأن الإستعمار بدلا من أن يشعر بتأنيب الضمير يعتقد من خلال هذه النظريات أنه يقوم برسالة حضارية عندما يزيل موارث الأمم وبنى التحتية لها ومجتمعها المدنى القائم بها والحرف والصناعات الخاصة بها ويعتبر نفسه أنه يمدنها. حتى ماركس تكلم عن أن غزو فرنسا للجزائر من التمدن وإزالة الرجعية

والتخلف وتحدث بنفس هذا المنطق عن الهند مع أن الماركسيين عندنا كانوا دائماً يخفون هذه النصوص لأنها تفضح الرجل لأنه كان يتحدث عن أن الاستعمار يقوم بدور تحديثي ودور تمديني للمجتمعات المستعمرة.

فأنا عندما تحدثت عن النزعة الداروينية إنطلاقاً من كلام المودودي عن الحضارة الغربية سخر مني فؤاد زكريا وهذا ماجعلني أضحك من إعجاب السيد ياسين بما قاله جميل مطر وقلت في نفسي لو كان السيد ياسين قرأ لي أنا هذا الكلام أو لأحد غيري من الإسلاميين لما كان كتب هذا الإعجاب الذي كتبه عن كلام جميل مطر. لأنه عندنا تحدث طائفة ثقافية حيث يختلف الموقف مما يقوله أحد الإسلاميين عما إذا قاله غيره من الباحثين والكتاب.

هذه هي قضيتنا مع الحضارة الغربية ففي الاقتصاد يحدث اجتياح لاقتصاد الشعوب وأنا لست متخصصاً في الاقتصاد ولكني أريد أن يجيب الاقتصاديون عندنا عن تفسير ما حدث بالنسبة للنمو الأسوي. لقد تابعت بعض التفسيرات التي كتبت في هذا مثل أبحاث الدكتور حازم الببلاوي وغيره ومع ذلك سأقدم لكم تفسيراً أعلم أنني لو كتبه لهوجمت من العلمانيين هجوماً شديداً.

فالتجارب التي حدثت في أندونيسيا وماليزيا برغم عظمتها كان هناك دور كبير للشركات المتعددة الجنسية بالنسبة لها وبالتالي لم تكن مفاتيح الأمور بأيدي الحكومات والشعوب فالتنمية التي تجدد نتيجة التدخل الأجنبي من الممكن عند اللزوم القضاء عليها. والنقطة الأخرى أن هذه التجارب التنموية ربطت نفسها بالمركز الغربي فلم يكن هناك سوق إسلامية مثلاً وبالتالي فأنت لست حراً حقيقة : فرأس المال أجنبي والشركات

أجنبية. والاستثمارات الأجنبية والخبرات الأجنبية والتكنولوجيا غربية والأسواق غربية .. وهكذا فأنت مربوط بالمركز الغربى .

الأمر الآخر هو حكاية سوق المال وقد قال مهاتير محمد : إن الملياردير سورس بما فعله من لعب فى البورصة هو الذى بدأ الضرب فى هذه التجارب. ففكرة تحول المال إلى سلعة يضارب عليها وجعلها بديلاً للإنتاج والعمل هى نفسها الفكرة التى وراء تحريم الإسلام للربا فنحن هنا فى الأزهر نتعارك حول الفائدة وهل هى حلال أم حرام وليست هذه هى القضية الأصلية.. فالقضية الأصلية هى فلسفة الإسلام فى المال . إن المال ليس سلعة يتاجر فيها لأن هذا هو الذى يصنع التضخم ويصنع عالماً اقتصادياً آخرأ لا علاقة له بالاقتصاد الحقيقى .. ليس له أدنى علاقة بالإنتاج أو الزراعة أو الصناعة أو بكل هذه الأمور. وهذا يبين أهمية الرؤية الإسلامية فى فلسفة الأموال التى أرى وجوب دراسة عيوب ماحدث فى التجارب الآسيوية فى ضوءها.

وعندما حققت أعمال محمد عبده بهرنى أنه عندما تكلم عن الربا قد لمس هذا السعد وقال كيف أن تجارة المال تركز المال فى جانب والفقر فى جانب ولم يكن قد أثير عندنا بعد موضوع التضخم الذى هو المتاجرة فى المال . فالبئس يأخذ منك بفائدة خمسة فى المائة مثلاً وينقل لغيرك بفائدة عشرة فى المائة ومن أخذ بعشرة ينقل بخمسة عشر وهكذا فالمال سعره يزيد دون زيادة حقيقية فى الإنتاج . أى أنه بعيداً عن وظيفة المال تتم عملية التضخم وبصنع سوق المال من الممكن أن تضرب تجارب تنمية بعيداً عن عملية الصناعة. فلم تتم عملية اللعب فى الصناعة التى أقامت أندونيسيا وماليزيا وإنما اللعب تتم فى البورصة لأنك صنعت اقتصادا فى المال مواز

للاقتصاد الإنتاجي وجعلت هذا في يد السماسرة اليهود وعملاء المصارف العالمية. إذاً فلكى تتم العولة فلا بد من الاختراق والهيمنة ومسك مفاتيح البلاد وعندما كان ينشأ لدينا مشروع مترو الأنفاق كنا نقول أن المترو في القاهرة ولكن الذى يمغظ التذكرة في فرنسا فالذى يمسك لك المفتاح (التذكرة الممغنطة) هو فرنسا لقد كنا نقول أخذوا الصندوق يامحمد ولكن مفتاحه معى لكن الآن المفتاح معهم وهذه هى فكرة العولة فحتى فى التجارب التنموية الجيدة والمبشرة تكون مخترقاً تماماً ويكون مفاتيحها مع الغرب وطبعاً هذا يتبعه تآكل السيادة فى الدولة الوطنية والقومية وأريد أن أقرأ عليكم التعليق الذى كتبته فى الشعب عما نشره أحد الأشخاص فى جريدة الأهالى حيث زعم أنهم يقفون مع الضغط الأمريكى على الحكومة المصرية فى مسألة الأقليات لاننا فى عصر العولة والدولة منقوصة السيادة فتساءلت : ولماذا تكون مصر فقط منقوصة السيادة ؟!

فإذا كانت العولة حقيقية فلا بد أن تكون أمريكا أيضاً منقوصة السيادة وكما يضعون أسطولا فى الخليج يكون لنا أساطيل هناك. فلماذا تكون سيادتنا نحن فقط منقوصة وتسمى ذلك عولة؟! الأصح أن نسميها هيمنة. فالعولة كما قلنا إن كان المقصود منها العالمية فلا بد أن تكون حقوقنا جميعاً متساوية ولكن المقصود الحقيقى من العولة أن تكون سيادتنا نحن فقط هى السيادة المنقوصة.

إن هذا لم يعد يتم فقط باسم النظام العالمى ولكن أمريكا الآن أصبحت تشرع للعالم صراحة فالكونجرس الأمريكى يصدر قراراته بعدم الإتجار مع ليبيا أو بعدم الإتجار مع إيران ويضع العقوبات على مخالفة ذلك حتى

حاولوا أن يفرضوا على أوروبا نفسها عقوبات ولكنهم تراجعوا بعد ذلك
وآخر ما فعلوه بشأن هذه العقوبات هو قانون الأقليات الأخير.

هؤلاء الذين يدعون الدفاع عن حقوق الإنسان في العالم هم الذين
أبادوا الهنود الحمر ولا تزال التفرقة العنصرية في أمريكا تمثل أعلى معدلاتها
في العالم ولا تزال الحروب الدينية في أوروبا إلى الآن من البلقان إلى
أيرلندا إلى آخرة .. ونفس هذه الأمور موجودة في يوغسلافيا أي أن
أوروبا لا تزال تعيش حروباً دينية ويعودون مرة أخرى التدخل في الشؤون
الداخلية للدول من ثغرة الأقليات والأقليات المقصودة هنا ليست فقط
الأقليات غير المسلمة فأنا اليوم سمعت خبراً في لندن عن المغني الذي قتل
في الجزائر وما الذي قالته الصحف الفرنسية عن ذلك فعندما تحدث
مندوبهم في لندن عن ذلك قال : قال إن القتل كان يناضل من أجل
الآمازيغية .. يناضل ضد اللغة العربية .. يناضل من أجل اللغة الفرنسية
كلغة للإفتاح .. يناضل من أجل العلمانية .. هذا البرنامج الذي عقدت
لأجله مؤتمرات في باريس أقامتها منظمة الآمازيغية التي يعمل فيها محمد
أركون الذي جاء يعلمنا الإسلام وما هي أحداث الإسلام التي من الممكن أن
تكون . وهو يعمل لدى الفرنسيين في موضوع الآمازيغية.

وما أريد أن أقوله أن الإختراق الذي يحدث من خلال موضوع
الأقليات ليس فقط متعلقاً بالأقليات غير المسلمة لأنهم يلعبون الآن بورقة
الأكراد .. وبورقة الآمازيغ .. مثلما يلعبون بورقة الموانة وورقة الأقباط.

وأريد أن أقول أن قضية الأقباط لا بد أن نهتم بها ليس لأن عندنا مانعتر
عنه أو أن لدى الإسلام ما يعتذر عنه وإنما لأنها أصبحت باباً للإختراق
وأنتم ترون المراكز التي تعمل في هذا الموضوع عندنا والممولة علناً من

الخارج وأقول إننا أحرص الناس على معايير الإنصاف بالنسبة للأقليات . فالمسلمون مليار وثلث مليار فى العالم وربع المسلمين أقليات . إذا فإن من مصلحتنا كمسلمين - فضلاً عن معايير العدل - أن تكون هناك ضوابط منصفة للأقليات ، إن لدينا علي سبيل المثال فى الهند مائة وخمسين مليون من المسلمين أقلية . إذا المسلمون أولى الناس بأن تكون هناك معايير داخلية وأقليمية و عالمية تتعامل على أساسها الأقليات ومن ناحية أخرى فإن الوحدة الوطنية لا بد أن تبنى على الحقائق وليس على الأوهام فعندما يأتى شخص ويقول أن الدين الإسلامى طارئ على مصر وإنه لذلك يجب أن يكون هناك امتياز للدين الأقدم . فلنا أن نقول عند ذلك : إن النصرانية فى مصر أيضاً وافدة .. بل أن النصرانية فى العالم كله وافدة حتى فى الفاتيكان نفسها لا يستثنى من ذلك سوى فلسطين . بل أن اليهودية وافدة على فلسطين لأنه لا علاقة لها بفلسطين .. ؛لاتوراة ولا أنبياء اليهودية عرفوا فلسطين . إذا لابد من إنهاء هذا الوهم الذى يتحدث عن دين قديم ودين وافد .

النقطة الثانية : أن المساواة كامل المساواة فى حقوق المواطنة حق من حقوق الله . وليس حق من حقوق الإنسان لأن الله سبحانه وتعالى بحكم خلقه للبشر بصرف النظر عن الدين - لابد أن تكون لهم كامل المساواة فى حقوق المواطنة هذا معيار .

المعيار الثانى هو : هو أنه للأقلية فى كل بلاد الدنيا أن تقيم دينها والحلال والحرام فى دينها ولكنها لايجوز أن تصدر حق الأغلبية فى هوية الدولة . وخمسة مليون مسلم فى فرنسا من حقهم أن يقيموا دينهم والحلال والحرام فيه ولكن ليس من حقهم . أن يصادروا هوية علمانية

الدولة الفرنسية ونفس الأمر إذا تحدثنا عن الأقلية في الهند. وهذه قضايا لا بد من التوسع فيها بدلاً من إستغلالها في إطار العولمة.

الكلمة الأخيرة هي 'عن الوهم الذى يتحدث عنه دعاة العولمة وأعنى بذلك مايقولونه عن الإعتماد المتبادل أى أننا عندما نلحق بالعولمة يكون بيننا وبينهم إعتماد متبادل.

فهل من الممكن أن يكون هناك اعتماد متبادل بين رجل عاجز وأسد مفترس؟! . ويحضرني في ذلك نكته كانت تروى عن حاجب محكمة سأل مرة عن مرتبه فقال : مرتبى أنا والقاضى مائة وثلاثة جنيهات هو ثلاثة والقاضى مائة فهل هذا هو الأعتماد المتبادل؟! .

فالاعتماد المتبادل لو كان حقيقياً فإنه يفترض أساساً أن تكون قوياً .. تكون لك هوية مستقلة ولكن عندما أكون ضعيفاً وتابعاً وملحقاً فهل أقول : أنا وأمريكا!.. إذاً فما الذى يحدث الآن فى العراق من الأمريكان؟! ..

أين العراق؟! وأين أمريكا؟! .

أين الصلف الإسرائيلى وأبو عمار؟! .

إذاً هذا الصلف المتبادل وهم من الأوهام.

فنحن مع العالمية ولكن هذا الذى يسمى بالعولمة هو تسابق وتطور فى أدوات الهيمنة والجديد فى ذلك هو تقنين هذه الهيمنة . أما كون الغرب يعمل على فرض هيمنته علينا فهذا مرتبط بموقف الحضارة الغربية القديم منذ الإحتكاك بينها وبين الحضارة الإسلامية وشكراً .

ورقة الدكتور على جمعه

شاع لفظ العولمة فى الاستعمال البومى فى الصحافة والإعلام، ولم يدخل بعد بصورة واضحة فى المصطلحات الأكاديمية ، مما سبب له شيئاً من الغموض وعدم التحديد، وهو لفظ قد يدل على حالة بأكثر مما يدل على مفهوم، وحالة العولمة هى تلك الحالة التى يعيشها الناس .. من خلال تطور المواصلات والاتصالات والتقنيات الحديثة والتى تمكن الناس فى الأرض كلها من التواصل اليومى والآنى بعضهم ببعض وما يترتب على ذلك من سهولة عرض وانتقال وتسبى الأفكار والمذاهب الاجتماعية والسياسية والدينية والاخلاقية وكذلك عرض السلع والخدمات وتأثير ذلك فى الأذواق والتوزيع ونمط المعيشة ومستواها وما يلى ذلك من تأثير فى التنمية والتطور والعلاقة مع النموذج الشائع أو التى تتبناه الجهات الأكثر قوة أو الأكثر تمكناً من الصناعة وهو عادة النموذج الغربى والنظام الغربى ونمط المعيشة الغربى عموماً والأمريكى على وجه الخصوص.

هذه الحالة جعلت هناك كثيراً من اللبس عند كثير من الناس والمدعون بأن العولمة مفهوم يُدعى إليه، ومن هنا فإنه يدعى إليه من قبل النموذج الأمريكى مما جعل هناك فريقين: المؤيدين والعارضين.

إن النموذج الغربى والأمريكى خاصة هو المسيطر على حالة العولمة، مما يجعلنا فى معالجتنا لهذه الحالة مضطرين للتعرض للمفهوم الحالى فى هذه الحالة.

أولاً : حالة العولمة

١- حالة العولمة ناتجة من تطور المواصلات والاتصالات

٢- حالة العولمة أدت إلى بعض الظواهر منها:

أ- الجوار : وهو ظاهرة معناها أن البشر تتجاوز برابطة أخرى غير رابطة العقيدة أو العنصر أو القومية أو حتى اللغة أو المصالح المشتركة بل برابطة الجوار، ومن هنا فلا بد من عدم الاعتماد على أى رابطة من الروابط السابقة، وليكن المشترك بين الناس هو الإنسانية فقط وهذا الفهم أحد نواتج العولمة (والذي ينبغى أن يشيع حتى لا يقاتل الناس بعضهم بعضاً) هكذا يرى دعاة مفهوم العولمة الذين يحولون الحالة إلى مفهوم يدعى له ويبشر به. .

ب - ظاهرة الزوال: وهى شعور الإنسان بعدم وجود ثابت أو كل شىء قابل للتغير والزوال وأن التطور السريع للصناعة وظواهر الموضة المتغيرة كل سنة بل كل فصل من فصول السنة يؤدى إلى ذلك الشعور فإذا انضم إليه الدعوى إلى النسبية المطلقة وإلى كسر المطلق والثابت والخروج عنه بدعوى الحرية أو حتى بدعوى التفلت إذا انضم ذلك إلى الزوال تحول من حالة إلى مفهوم مطلوب وليس مجرد حالة نستطيع التعامل معها أو نسعى لتغيرها أو القضاء عليها.

ج- ظاهرة العزلة الفكرية والحرية السلوكية: نتج عن الجوار والزوال أن كل شخص قد تمسك بخصوصيته فانعزل عن النموذج الشائع فاصبح منعزل الفكر منفلت السلوك بدعوى أنه يتمسك بالجوار ومستسلم لحالة الزوال.

ثانيا : مفهوم العولمة

أدى تحويل العولمة من حالة إلى مفهوم إلى انتشار فكر مدارس مابعد

الحدائث الذى تدعوا فى صوره المتطرفة إلى زوال الدولة والاسرة والدين الثقافة واللغة باعتبارها قيوداً على الفكر والعمل معاً وبذلك يصل الإنسان إلى النسبية المطلقة التى تساوي السفسطة فى الفلسفة القديمة العبثية والفوضوية فى الفلسفات الحديثة التى ادعت موت الإله ثم موت الإنسان والاستجابة إلى هذه القضية باعتبار العولمة مفهوم وما يترتب عليه يعد ضياعاً لثرات الإنسانية وتدميراً لكل الأديان.

ما العمل

- ١- العولمة حالة وليست مفهوماً وينبغى التعامل معها على هذا الأساس.
- ٢- تعلم السباحة وعدم محاولة منع الفيضان، فليس فى الندوات منع العولمة باعتبارها حالة ولكن من الممكن التعامل معها ومع المفاهيم التى تحملها واتخاذ موقف الضد الواعى بازاء النموذج الغربى عامة والأمريكى خاصة.

وتعلم السباحة يتمثل فى الإدراك الواعى لعقيدة التوحيد ونظرية التكليف عند المسلمين فالرب رب والعبد عبد والله يأمر والعبد يطيع، ونؤمن بالرسل والرسالة ونؤمن بيوم آخر يتحكم فى سلوك الإنسان ويبين أن الإيمان بالله حقيقة واقعية وضرورة اجتماعية وإنسانية وصحية وحياتية.

وأن المطلق موجود والثابت حقيقة والنسبى والمتغير واقع وأن المقدس لا ينبغى المساس به وأن الدعوة إلى الله واجبة وإرشاد الخلق لدين الحق أمر لا بد منه. إن هذه المسلمات عند المسلمين هى طرق التجارة وقواعد السباحة فى فيضان حالة العولمة... وإلا فالهلاك .

تعقيب الدكتور / محمد مورو:

ما أراه هو أن العولمة ماهى إلا تبرير للهيمنة أى أننا لابد أن نفصل بين أمرين: بين الهزيمة الحضارية المتعلقة بنا والتقدم التكنولوجى الغربى والتطور الرأسمالى الغربى وبين مايفعلونه من فرض الهيمنة علينا كما يقول الدكتور عمارة فهذه العولمة التى يتحدثون عنها مجرد كلام فارغ وخدعة كبرى يتم بها تبرير الهيمنة فليس كما يقول السيد ياسين أن تقدمهم التكنولوجى قد صار قدراً ومن ثم العولمة قد صارت قدراً فنحن نعترف بسبقهم التكنولوجى بلاشك ولكننا نرفض أن يكون ذلك مسوغاً لفرض إرادتهم وإلغاء إرادتنا كاملة.

إننى أقر أننا بالفعل فى حالة هزيمة حضارية وهزيمة تقنية وأن المنحنى الحضارى الإسلامى الآن فى حالة هبوط وأنهم فى حالة سيادة عسكرية واقتصادية وسياسية على العالم لأن هذا لن يمنع أن منحنى حضارتهم سيمضى إلى الهبوط فى الوقت الذى سيمضى إليه منحنى حضارتنا إلى الارتفاع وكما يقول الدكتور على جمعه نحن نحتاج إلى ثورة فى العلوم الشرعية نحتاج إلى ما أسميه أنا بفقه الإقلاع . فنحن نحتاج إلى فقه جديد يتناسب مع حالة الإقلاع الحضارى التى نشدها لأن الطرف التاريخى الذى نقع فيه الآن لم يحدث فى التاريخ الإسلامى من قبل فقد كنا فى حالة تفوق حضارى ثم كانت هذه الهزيمة الحضارية والآن نحن فى حالة الإقلاع من تلك الهزيمة الحضارية التى تحتاج إلى فقهها الخاص لأن هذه الحالة لم تحدث فى التاريخ الإسلامى لأننا كنا فى حالة انتصار أو تعادل ولم تكن وسائل الإتصال والهيمنة قد بلغت هذا المدى من القوة .

ولقد طرح الدكتور/ عمارة سؤالاً حول فشل تجربة النمر الأسبوية وأنا أعتقد أن هذا يرجع إلى فلسفة البناء التي تقوم بها الأمم فإذا كانت الأمم تسعى إلى بناء منشآت ومصانع متقدمة فإن الغرب يملك صواريخه التي تستطيع تحطيمها وحتى إذا أردت عمل حركة إسلامية ذات تنظيم مؤسس قوى فإن كل ذلك يسهل ضربه سواء عن طريق الغرب أو رجال الحكم لأننى إذا اعتمدت على إنتاج نفس الوسائل المادية فإن ذلك سيؤدى إلى الهزيمة الحقيقية أمام العولمة. وعلى سبيل المثال فإن ما تعود عليه الفلاح فى معيشتة فى الماضى من استقلال يجعله بمنأى يعصمه عن تقلبات البورصة أو السوق العالمية وعن أمثال الملياردير سورس فالتنمية المستقلة هى أن أنتج الشئ الذى أريده أنا والذى أملك خاماته والذى لايمكن توجيهه من خلال الاقتصاد العالمى فبدلاً من أن أنشئ مصنعاً شديداً الضخامة يتحكم الغرب فى تقنياته على أن أصنع ألف مصنع صغير برؤيتى أنا. أى أن التنمية الحقيقية هى تقوية المجتمع وليس تقوية الدولة . تقوية الإنسان وليس تقوية المؤسسة هذا هو رأى فى الإجابة على سؤال الدكتور عمارة وشكراً.

تعقيب الباحثة هبة فراج

وجاء تعقيب الباحثة هبة فراج الذى تحدث فيه عن العولمة والطفل فقالت:

الطفل يمثل المستقبل الذى تتوجه إليه كافة الوسائل الإعلامية والثقافية والتربوية وما يحدث الآن من خلال العولمة والاحتكار القمي الغربى للإعلام أن الطفل يزداد فقراً ثقافياً إضافة إلى الفقر المادى الذى يعيشه بالفعل.

من ناحية أخرى فإن ثقافة العولمة تعتمد بالأساس على اللغة الإنجليزية الأمر الذى يعمل تدريجياً على القضاء على اللغة العربية وهى من أهم العناصر الحضارية التى يجب أن يتشكل وعى الطفل من خلالها.

وكذلك فإن العولمة وما يرتبط بها من نمط إستهلاكى وتقنيات إعلامية متقدمة فى الترويج لهذا النمط تؤدى إلى ارتباط الطفل بنسق معيشى وتطلعات معيشية ترفية لا تتناسب مع وضع أسرته الأمر الذى يصنع التناقض بينه وبين واقعه.

والعولمة لها تأثير كبير على التفكير العقائدى والقيمى لدى الطفل فهى تدعوه إلى التخلص من قيود الدين وتظهره بأنه حيلة الضعفاء والمتواكلين وتحل القيم المادية محل القيم الروحية وتغرى الطفل بالتطلع إلى المنتجات المحلية وذلك من خلال الإعلانات التى تتحول إلى مادة تربوية تشكل وعيه ومدر كاته.

ومن أهم سلبيات العولمة هو انتشار العنف بين الأطفال والترويج

الإعلامى له بأنه وسيلة لنشر الخير أو الحل الوحيد لنشر المعانى الطيبة وإقضاء الحوار العقلى كوسيلة لنشر القيم وأظهر مثال على ذلك ما يحدث فى مسلسلى زينه وهرقليز .

فالصراع فيهما لا يعتمد على غير العنف وكما نعرف فإن الطفل ليس لديه تفكير تقدمى لكنه شديد الحساسية والتأثر بالقيم التى توجه إليه.

ولكى نصل إلى طفل ينتمى إلى وطنه ولديه القدرة على مواجهة عمليات الاحتواء فلا بد من العمل على إنشاء إعلام عربى إسلامى يخضع برامج الأطفال للتوجيه فى الوقت الذى تكون لديه القدرة على منافسة البرامج الغربية والتفوق عليها.

وكذلك فإن التعليم فى مراحله المختلفة ينبغى أن يكون مستنداً إلى القيم الدينية والأخلاقية وطبيعة المجتمع وطبيعة المتعلم نفسه وتنبيه الآباء والأمهات إلى مخاطر العولمة التى يجب مواجهتها.

الورقة الأخيرة

الإسلام دين العالمية
لا المصولة

ورقة الأستاذ جمال البنا

الإسلام دين العالمية لا العولمة

ورقة الأستاذ جمال البنا^(١)

ما أن ظهر الإسلام حتى ظهرت طبيعته «العالمية» في صورة مصغرة أو «جنينية»! كما يقولون فمن الأيام الأولى كان حول الرسول سلمان الفارسي وصهيب الرومي (بالإضافة إلى جارية رومية عذبت واستشهدت في سبيل الإسلام) وبلال الحبشي لقد آخى الإسلام بينهم وصهرت روحه القوية فوارق الدم والجنس فيهم كما كان حوله الرجال والنساء والأطفال أحراراً وعبيداً.

صحيح أن دعوة الإسلام بدت أولاً محلية، ولكن هذا كان في ترتيب البدء بالدعوة لأن هذا هو ما يقتضيه طبيعة الأشياء فقد بدأت أولاً «أنذر عشيرتک الأقربين» ثم (أم «القرى حولها» ثم جاء الأنصار، وأرسل الرسول إلى الأنصار معلمين، ثم بدأت الهجرة إلى المدينة إرسالاً كللت بهجرة الرسول).

وعندما استقر الرسول بالمدينة كان من أعماله الأولى المؤاخاة التي قام بها بين المهاجرين والأنصار فقرن كل واحد من المهاجرين بواحد من الأنصار اعتبره أخاه، ووصل كرم الأنصار، وثقتهم في هذه المؤاخاة إلى الدرجة التي كان الأنصارى يعرض على أخيه المهاجر نصف ماله وإحدى زوجتيه بعد أن يطلقها^(٢).

(١) إخفت هذه الورقة مؤتمر الإسلام والعولمة الذي عقد بحزب العمل.

(٢) ظهرت أحسبة المؤاخاة كأسلوب من أساليب الدعوة أو الدعاة في العصر الحديث عندما نساها لیبين وأصر عليها عند عقد معاهدة برفست ليتوفسك مع أعدائه الألمان، وكانت صوريته أن يسمح لمحمود الروس بالاختلاط بالجنود الألمان، وكانت فكرة لیبين أن هذا الاختلاط سيحبس الروس قريباً من الألمان أما كشيوعيين أو كأصدقاء بعبارة أنهم جميعاً

وكانت الثانية هي «صحيفة المودعة المشهورة» التي جمعت الفئات اليهودية داخل إطار «أمة المدينة» وربت عليهم واجبات كما منحهم حقوق مثل واجبات وحقوق الأنصار.

وتعد صحيفة المودعة من أولى المعاهدات إن لم تكن أولى المعاهدات .. التي تترفع فوق حواجز الدين وفوارق الجنس وتمنح الجميع حقوقاً وواجبات متساوية..

ومع الزمن كانت الطبيعة العالمية للإسلام تتضح وكانت نصوص القرآن صادرة بذلك، وحدت الآيات التي يتصدرها «أيها الناس» محل الآيات التي توجه إلى المؤمنين.. والتي تصرح ببعثة الرسول «إلى الناس جميعاً» وتصف «عالمية الإسلام».

﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾ (١٥٨ الأعراف).

﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (١٠٧ الأنبياء).

﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾ (٢٨ سبأ).

وسلك الإسلام طريقة «حضارية» سلمية في الدعوة لعالميته، تلك هي الخطابات التي أرسلها الرسول إلى ملوك الدول المعروفة وقتئذ الروم والفرس ومصر وكانت هذه الكتب تدعو هؤلاء الحكام للإيمان بالإسلام أو تحملهم مسئولية إبقاء جماهيرهم في ظلمات الكفر إن رفضوا..

وكما هو معروف فقد رفض الجميع باستثناء المقوقس الذي لم يرفض ولم يقبل وأهدى إلى الرسول هدايا.

وأتى الخلفاء الراشدون ما بدأه الرسول عندما أرسل رسله فجوبه

بالرفض، ذلك أنه كان يَسْعَ المسلمون وليس لديهم قوة أن يقنعوا بتبليغ الملوك ولكن عندما توفرت لهم القوة كان لابد من تبليغ الشعوب والجماهير، والمجتمع الكافر بصفة عامة برسالة الإسلام ..

ذلك أن التبليغ برسالة الإسلام جزء لا يتجزأ من عالمية الإسلام باعتباره الرسالة الخاتمة.

ولننظر سوياً إلى هذه الآيات الكريمة:-

﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾ (البقرة ١٤٣).

﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾ (النساء ٤١).

﴿ويوم نبعث في كل أمة بشهيد عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شئد وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾ (النحل ٨٩).

﴿وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس﴾ (الحج ٧٨).

إن هذه الآيات عظيمة الدلالة فيما نحن بصدده لأنها تؤكد عالمية الإسلام بما تفرضه من واجب إشهاد الأمم على الإسلام، وهي.

(١) تؤكد عالمية الإسلام.

(٢) تثبت هذا التأكيد بإيجاب تبليغ رسالة الإسلام وإن يكون المسلمون شهوداً على هذا.

(٣) ينتهى الوجوب عند هذا - وليس فرض الإسلام لأن رسالة المسلم، ورسالة الإسلام - تقف عند التبليغ أما إيجاب الإيمان أو فرضه فهذا ما يخالف أصول حرية العقيدة فى الإسلام، وما تثبته قاعدة قبول الجزية - فى حالة الحرب، وانتصار المسلمين..

ولقائل أن يقول ألم يكن هناك طريقة أخرى لتبليغ رسالة الإسلام سوى الجيش ؟ فضلاً عن أن الجيش يتضمن أكثر من التبليغ - فنقول بعد أن كتب الرسول إلى الملوك، وبعد أن رفض الملوك لم يكن هناك طريق لإشعار المجتمع بأن هناك ديناً اسمه الإسلام يعرض على الشعوب إلا هذه الطريقة. لم يكن هناك إذاعات خارجية أو تليفزيونية أو صحافة أو إنترنت أو أى وسيلة للاتصال بالناس.. والطريقة الوحيدة الفعالة والمؤثرة والتي تدفع الملوك والحكام للتحرك هى الجيش.

على أن هناك نقطة دقيقة يجب إيضاها ذلك أن الإسلام كما هو عقيدة دينية ، فإنه أيضاً عدالة دنيوية، وقيم حضارية، وقد استبعد الإسلام نهائياً فرض العقيدة الدينية بالقوة ليس لأنها تخالف طبائع الأشياء فحسب ولا لأنه لا قيمة لدين يكره عليه صاحبه ولكن أيضاً لأنه يخالف النصوص القرآنية الصريحة فى أن الله تعالى لو شاء لجعل الناس أمة واحدة وأن الهداية مردها إلى الله ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ ، ولكن الله يهدى من يشاء ﴿﴾.

ولكن من ناحية أخرى فإن نظم الجبروت والطغيان والطبيعة التي قام عليها العالم القديم وبنى عليها الفرس والرومان نظمهم. هذه النظم التي سحقوا الجماهير وقضت عليهم بالاستعباد وحرمتهم كما يقولون، الحقوق الأساسية للإنسان وكانت الحرب تعنى تدمير هذه النظم الطاغية وتحقيق العدل الإسلامى للجماهير، مع منحها حرية الاحتفاظ بدينها وفى نفس الوقت يكفل لهم الجيش الإسلامى الحماية مقابل تقديم جزاء لهذا، وهى «الجزية» التى اشتقت من مادة الجزاء.

هنا نجد أفضل صورة للعالمية، صورة تعرف الناس بدين يستبعد عبادة الأحرار - والرهبان والملوك والطغاة، ويعرض عبادة الرحمن الرحيم الخالق الكريم رمز القيم والمثل الغائبة والإيمان برسول أرسله الله رحمة للعالمين .. ولكن هذا العرض لا يعنى، - كما أشرنا - الإجبار، أنه مجرد عرض، دور المسلمين فيه أن يكونوا شهداء عليه .

وفى الوقت نفسه فإن تطبيق القيم الإسلامية والنظم الإسلامية التى تقوم أساساً على العدالة وتستبعد كل صور الظلم والطغيان تحرر المجتمع وتفتح أبواب الحرية وآفاق المبادرات للأفراد جميعاً..

يتضح مما سبق أن للإسلام «عالمية» وضعها تطبيقاً لتوجيه القرآن ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ (١٣ الحجرات).

وهذه العالمية لا تقف أمامها حدود أو سدود وهى تنظر إلى الناس جميعاً دون تفرقة بين أبيض وأسود. ذكر وأنثى، والإسلام يجد من واجبه أن يعرف ناس هذه العالمية بالإسلام كعقيدة دينية وعدالة دنيوية وقيم

حضارية فالمسلمون هم حملة رسالة عليهم أن يبلغوها، وفي العهود الماضية لم يكن ذلك متيسراً بغير العمل العسكرى الذى يشعر الجماهير به، فضلاً عما يتمخض عنه من حرب، أو إيمان، أو موادة تكون كلها لها آثار بعيدة المدى إن لم يكن فى إسلام هذه الأقوام فعلى الأقل تعرفهم على قيم الإسلام، وبالتالي ثورتهم على قيم الطغيان والجبروت.

ولكن العصر الحديث وضع فى أيدي الدعاة وسائل للدعوة والتبليغ أبعد مدى وأكثر أثراً من أى وسيلة أخرى، وأتصور أن هذه هى وسيلة المسلمين للدعوة وأنها هى البديل عن الجهاد الذى لم يكن له بديل من قبل. فعالمية الإسلامية عالمية حضارية تقوم على أسس وقيم الإسلام الحضارية سواء كان فى مجال العقيدة أو فى مجال النظم.

ومرة أخرى قد يقول قائل. ليس فى هذا جديد فالمسيحية، يمكن أن تدعى مثل هذا الدور وهذا صحيح إلى حد ما لأن المسيحية والإسلام أخواعات، كما يقولون: أى من أب واحد وأمّهات شتى ولا يستشعر الإسلام حساسية، إذا قامت المسيحية بتعميم قيم الحب والخير بين الناس جميعاً والفرق الوحيد أن الإسلام أكثر أحكاماً من المسيحية سواء فى عقيدة الألوهية الخالية من التعقيد الكهنوتى، أو فى النظم التى تقوم على العدل..

خلاصة القول أن الإسلام بطبيعته عالمى وإن عالميته تقوم على التعريف به، وما فيه من قيم وأن هذا يمكن أن يتم مع احتفاظ الأمم الأخرى بأديانهم لأن الإسلام وإن كانت عقيدة من ناحية فهو نظام فى ناحية أخرى وقاعدته العامة هى الآية ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا

نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله،
فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴿

وهذه الآية هي التي تجعل الإسلام عالمياً، وتجعله في الوقت نفسه يرفض
العولمة المزعومة لأنها تجعل من قادة المجتمع الأوربي الأمريكى أرباباً من دون
الله وتملى على شعوب جماهير العالم الثالث التسليم لها .

ذلك أن العولمة التي يدعون إليها ليل نهار ليس إلا الصورة الأخيرة من
الهيمنة الأوربية على العالم .

وقد سبقتها عولمة «الإمبراطورية الرومانية» وما يطلقون عليه «السلام
الروماني» وكان سلاماً يقوم علي السيف الروماني العريض الذي قهرت به
الجيوش الرومانية العالم القديم وفرضت نفسها عليه وتحكمت فيه تحكم
فاتح يرى أن كل ما في المدينة المفتوحة من أرض، ومال، وعقار وناس هم
ملك له بحق الفتح ...

وانطوت تلك الصفحة لتظهر صفحة أخرى من العولمة الأوربية: عولمة
تقوم على تقسيم العالم بين الدول الأوربية طبقاً لاتفاقات في مؤتمرات
دولية وكان شعار هذه العولمة وأداتها «الأسطول البريطاني التي وصلت
بوارجه إلى أقصى موانئ العالم وقصفت قلاعه.

واليوم تأتي جولة جديدة في المعركة نفسها تأتي العولمة التي لا يكون
سلاحها السيف الروماني العريض ولا الأسطول البريطاني العتيق، ولكن
التكنولوجيا السحرية وما أوجدته من مَرَدَة ، مثل الكمبيوتر، والأقمار
الصناعية، والتليفزيون، وغيره مما زلزل المقومات والقيم والتقاليد
والخصوصيات، ولم يجعل هناك ما يمكن أن يقف في وجه هذه المردة،

فالسّموات نفسها مفتوحة أمامهم ، وفى الأرض غزوها غرف النوم فيها
فى كل مكان من ؟ أجهزة التليفزيون ويتطلع الأفريقى فى غابته على
إحدى الأزياء الباريسية وآخر المسلسلات الأمريكية.

والهدف الوحيد الذى تعمل له كل قوى العولمة هو أن يصبح العالم
سوقاً واحداً مفتوحاً، دون جمارك أو حمايات، بحيث يمكن للمنتجات
الأوروبية الأمريكية «المتلثة» أن تجدلها مشترين، وأن يتم هذا على أنقاض
الصناعات والمنتجات القومية التى لا تتمتع بمزايا المنتجات الأوروبية
الأمريكية. أما قضية الثمن فليست مشكلة. إذ يمكن التحكم فى عملات
الدول كما يشاء تجار العملة.. كما يمكن اللجوء فى المرحلة الأولى إلى
إسلوب الإغراق أولاً، أى النزول بثمان السلعة إلى ما دون التكلفة لفترة
معينة تبور فيها كل السلع القومية، وتفلس مصانعها لتعود هذه الدول
فترفع فى الأسعار كما تشاء، بعد أن انفردت بالسوق..

وتقوم الإعلانات فى الجرائد، وفى التليفزيون بحرب أعصاب حقيقية
تحطم فيها مقاومة المستهلك بحيث تفصل السلعة بالمعلن عنها عن سلعته،
بل يجد نفسه منساقاً لشراء السلعة المعلن عنها حتى ولو لم تكن رغبة
الصحيفة؟

وبهذه الطريقة ينقسم العالم إلى نخبة فوية هم سكان الدول الأوروبية /
الأمريكية. ومستهلكين هم الدول الأخرى...

ولما كانت شعوب دول العالم الثالث لا تستطيع الشراء إلا عندما
يتوفر لها عمل وتحصل منه على نقود، فإن العالم الأوروبى / الأمريكى
يدخر لها أدنى الأعمال وأقلها كسباً وأكثرها عناء، وبذلك يرفع عن نفسه
القيام بهذه الصناعات والحرف أو بخس الأجور فيها - لأنه لا يريد بخس

الأجور فى بلاده وبهذا يكسب مرة أخرى ولا يؤثر فيه أن إنقاص الأجور فى العالم الثالث سيؤثر على قوته الاستهلاكية، لأن عددهم بمئات الملايين، ولأن إغراء السلع الجديدة، وتأثير الدعاية والإعلان تجعل عمال الدول النامية تخيف على غذائها وكسائها وثقافتها فى سبيل الحصول على التليفزيون الذى يشبع المتعة ويعرض ما يقوم بدوره فى الإشباع العاطفى حتى بدور الممارسة العاطفية.

وإذا كانت العولمة الرومانية تعتمد على السيف، وعولمة الاستعمار تعتمد على الأسطول، فإن لدى العولمة الحديثة ترسانة كاملة من الأسلحة، فبعد ظهور الآثار السيئة لاقتصاديات الشركات متعددة الجنسية أو عابرة القارات تلتهمس الدولة مساعدة صندوق النقد الدولى الذى يتقدم «بوصفة» معروفة تتضمن تخفيض العملات، وتقليص الإعانات والخدمات الاجتماعية وخصخصة الشركات وترك آليات السوق حرة فى العمل، ويقدم الصندوق لقاء إجابة هذه الشروط معونات نقدية بفوائد متفاوتة، وما أن تتقبل الدولة ذلك حتى تجد نفسها وقد أصبحت أسيرة الصندوق لا تملك لنفسها شيئاً، فقد أطلقت عنان الرأسمالية التى لا تعرف إلا الربح والمنافسة القاتلة، وأسوأ شئ أنها تعجز عن سداد الديون وتتراكم الفوائد ويصبح هم الدولة تسديد الفوائد التى فاقت أضعافاً مضاعفة الدين الأصلي..

لقد أصبح واضحاً أن الهدف الرئيسى للعولمة المزعومة هو القضاء على سلطة وقوة الحكومة خاصة فى المجال الاقتصادى، بحيث تصبح الدولة تحت رحمة صندوق النقد الدولى، واقتصاديات الشركات الكبرى التى تزيد مالية إحداها عن عشرين أو ثلاثين دولة من دول العالم الثالث، بحيث لا تستطيع أن تقدم شيئاً لشعوبها، أو تصد غائلة الرأسمالية الدولية

أو تعيينها فى محتنتها لأن هذا كله يخالف مبادئ الاقتصاد الحر كما يزعمون.

ومن ترسانة العولمة الحديثة «العقوبات الدولية التى تفرضها أمريكا باسم دول العالم على من تشاء طبقاً لمعاييرها الخاصة، فترك إسرائيل تصنع مئات الرؤوس النووية وتضرب العراق ، والسودان لمظنة أن لها نشاطاً ودراسات نووية، وقد سلطت العقوبات الدولية على ليبيا، فلم تستطع مصر ، وهى أقرب الدول إليها أن تفعل شيئاً لها .

وكان وجود الاتحاد السوفيتى ومنظومة الدول الاشتراكية يعوق انطلاقة وحش العولمة، فلما تهاوى الاتحاد السوفيتى انفردت الولايات المتحدة وانفسح أمامها المجال لأسوأ صور الاحتكار والعريضة.

وأعتقد أن من الضرورى لمجموعة الدول الإسلامية أن تتكىل لمقاومة هذا الوباء، ولن تعجز من أن تجد حلفاء لها من الدول التى حاقت بها نقمة العولمة لوضع حد لهذا الابتزاز والتحكم والهيمنة.

القسم الثاني

الحلقة النقاشية

الخطوط الأولى لمواجهة العولمة

جمال البنا المفكر إسلامي

د. رفعت العوضي

أستاذ الاقتصاد جامعة الأزهر

د. سيد الدسوقي

أستاذ التكنولوجيا جامعة القاهرة

د. سيف الدين عبدالفتاح

أستاذ العلوم السياسية جامعة القاهرة

محمد إبراهيم مبروك

محمد مورو: الكاتب الإسلامي

محمد إبراهيم مبروك:

اختيار موضوع الحلقة حول الخطوط الأولى لمواجهة العولمة يحمل انتقالة فكرية لتجاوز الحوارات التقليدية السائدة حول الموقف من العولمة، حيث بات واضحاً على امتداد العالم الإسلامى أن أغلب الاتجاهات الوطنية التى شاركت فى الندوات والمؤتمرات العديدة التى عقدت حول موضوع العولمة قد ذهبت على العمل على مواجهة العولمة ورفض ما يروجه المغرضون من مقولات تذهب إلى أن العولمة واقع مفروض علينا، ليس أمامنا سوى الاستسلام له، ومن خلال هذه الحلقة النقاشية علينا أن نتقل إلى خطوة فكرية واثبة إلى الأمام من أجل تحديد معالم الخطوط الأولى لهذه المواجهة فبعد أن أقتنع العالم الإسلامى بضرورة المواجهة صار السؤال الآن هو: كيف تكون هذه المواجهة؟

ونحن نضع مجموعة من المحاور التى من الممكن أن يدور حولها الحوار كخطوط أولى للمواجهة وهى محاور قابلة للأخذ والرد والحذف والإضافة وهذه المحاور هى:

* الارتكاز على الهوية الإسلامية.

* استقلال القرار السياسى لقادة الأمة سواء كانوا حكاماً أو معارضين.

* تحقيق النمو الاقتصادى التنموى المستقل الذى تستهدف أو لوياته غايتنا الحضارية بعيداً عن النموذج الإستهلاكى الغربى.

* تحقيق التكتل الاقتصادى والثقافى والإعلامى بين دول العالم العربى والإسلامى.

❖ تحقيق استراتيجية المواجهة الإعلامية والفكرية من خلال التقدم التقنى الإعلامى وإشعال الوعى الفكرى.

❖ تعبئة الشعوب بالروح القادرة على تقديم التضحيات التى تتطلبها مواجهة العولمة فى مراحلها الأولى من أجل تحقيق دعائم القوة المستقبلية لتقدم العالم العربى والإسلامى التى سيجنون ثمرتها بعد ذلك.

د. سيد الدسوقي: التنمية المستقلة

فى الحقيقة فإن موضوع التنمية يقع فى قلب عملية الاستقلال الوطنى، فلا استقلال وطنياً بغير استقلال تنموى والاستقلال التنموى لا يعنى الحرب على الآخرين، وفى اعتقادى فإن العولمة ليست كلها شراً محضاً قد يكون بها خير كثير ويمكن الاستفادة من هذا الخير إذا عرفت نفسى وعرفت ماذا أريد وعرفت ما الذى ابتغيه من هذا العالم المتربص بى فإننا إذا التجأنا إلى المرجعية الإسلامية هناك أهداف محددة للتنمية الاقتصادية فى القرآن الكريم تضع نظرية تنموية مستقلة.

يقول الله تعالى: «لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف».

وأول ما تبرزه هذه الآيات من مفاهيم أن الدولة يجب أن توجه الناس نحو التنمية عن طريق الإيلاف ويقول الإمام الألوسى فى تعريف كلمة الإيلاف: إنها الاجتماع والوثام، وهو ما يعنى السعى نحو العمل والقيام بالوظيفة مع الحب لا الإكراه.

ثم نتحدث الآيات عن غايتين أساسيتين للتنمية: الأولى هى الإطعام

من جوع فهي لم تقل إنه لم يطعمهم من ترف أو من شبع وإنما أطعمهم من جوع حيث إننا قوم لا نأكل حتى نجوع وقالت أيضا «وآمنهم من خوف» فلم يقل آمنهم من غفلة لأن الخوف يخالف الغفلة والتبلى وقد يكون الخوف صحيحاً أحيانا كالخوف على مجتمعك أو مستقبل أمتك فالجوع والخوف يناقضان الترف والغفلة وعندما كنت في كاليفورنيا في أواخر السبعينيات سمعت أن الرئيس السادات وعد الناس أن يدخلوا السوبر ماركت بعد أعوام قليلة ويملاؤن السلال من مختلف المنتجات الاستهلاكية في الوقت الذي كان يطالب به رئيس جمهورية إيران الشاب الدكتور حسن بنى صدر الناس بالتجلى وربط الأحزمة لمواجهة حصار القوى الخارجية فليس من حقى أن أعد قومي زخرف القول غرورا فيجب أن يكون للتنمية هدف أدرب نفوس الناس عليه هو جزء من العقيدة الإسلامية فأول عناصر التنمية هو القصد فكل شىء يجب أن يكون لك قصد فيه «وعلى الله قصد السبيل» والله هو الذى يحدد لنا مقاصد الأشياء ويروى أن رجلاً قتل عصفور فاشتكى العصفور إلى ربه فقال: قتلنى عبثاً ولم يقتلنى منفعه ولذلك كان قتال العصفور عبثاً حراماً أما قتله منفعه فهو حلال.

وثانى عناصر هذه التنمية هو الوظيفة فلا بد من توظيف كل الأعمال التنموية فعندما أحاول أن أحل مشكلة المواصلات مثلاً فى بلد مثل مصر فلا بد أن أهتم بوسائل النقل العامة ولا أغرق البلد فى سيل من العربات الخاصة فى مدينة مثل القاهرة شوارعها ضيقة وتكتظ بالزحام وعندما كنت هابطاً إلى مطار زيورخ استقبلنى أحد الأصدقاء وعرفنى بأحد الأشخاص وقال لى: هذا وزير المعارف وتوجهنا إلى المترو كما أن الجمال عنصر من

عناصر التنمية فالله يقول عن الأنعام: «ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون» وعد ذلك من نعمه علينا والقرآن يهتم بالجمال الطبيعي ويعود الناس على ذلك وأولادنا الآن لا يرون نتيجة الظروف التي صنعناها حدائقاً أو مشاهد طبيعية جميلة. وأنا أقسم التنمية إلى أنواع:

تنمية رخاء وتنمية بقاء وتنمية سبق فتنمية البقاء تتوافر موادها الأولية لدينا والمهارات التي تتطلبها بسيطة ولذلك فإن من السهل قيام الناس بها وتنمية النماء وهي أن تشعر أنك تعيش في معاناة وتحتاج إلى وسائل التقنية الحديثة لتحسين المعيشة والخروج من المعاناة. وتنمية السبق أى أن أنظر دائماً إلى وسائل السبق التي عندى كى أتميها لأغزو العالم من خلالها. والنقطة المهمة هنا هى دور الدولة والفرد والجماعات فى العمل التنموى فدور الدولة يتحدد فى رفع الحرج عن الناس والتنمية من قبل الدولة تكون فى التخلية بين الإنسان وترابه الوطنى ليتفاعل معه فى ظل عقيدة وشرعية ونظام ليصنع طعامه ولباسه وشرابه وليست التنمية أن تفعل الدولة كل شىء ولكن عليها أن تعد الدراسات وتقسم الأعمال بين الناس وتقيم لهم البنية التحتية التى تهىء للناس القيام بعملهم ودائماً أضرب للناس مثلاً بأسلوب العمل فى الولايات المتحدة فرغم اختلاف الناس بين أو روبيين وبوذيين ومسلمين وغير ذلك إلا أن البرنامج التنموى قد وضعته الدولة بعناية شديدة والناس يندفعون إليه بروح الغريزة ويعملون اثنتى عشرة ساعة يومياً فالناس يحتاجون إلى روح التحدى والعطاء والقرآن يقول لنا «فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى» أى لا بد من العطاء مع التقوى والتصديق بمثوبة ذلك.

أما دور المواطنين فيحكمه قوله تعالى: «أرأيت الذى يكذب بالدين.

فذلك الذى يدع اليتيم. ولا يحض على طعام المسكين. فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون. الذين هم يراءون ويمنعون الماعون» فلا بد من التوازن بين الدخول المادية داخل الجماعات. واحتياجات الناس هى مسؤولية المجتمع بوجه عام.

القطب الأمريكى

محمد إبراهيم مبروك:

لقد قدم الدكتور الدسوقى تصوراً إسلامياً للتنمية وهذا من صميم موضوعنا ولكن بجانب هذا نريد أن نبث عن كيفية العلاقة المتصورة لهذه التنمية بالواقع المعاصر فهذه التنمية لن تحدث فى فراغ، ولكن تحدث فى ظل صراعات مع قوى كبرى تعمل على السيطرة على العالم من خلال أليات العولمة.

د. سيف عبدالفتاح:

الواقع أن المنتصر دائماً يستطيع أن يفرض أفكاره على الناس وكانت نتيجة انفراد القطب الأمريكى بموقع القوة فى العالم أخيراً أن برزت إلى الواقع الفكرى والسياسى فكرتان وهما: نهاية التاريخ وصراع الحضارات فهم يريدون من خلال ذلك أن يحددوا لنا مسار التاريخ وإلى أين يتجه وكيفية العلاقات بين الأمم وبعضها. وبغض النظر عن هذه الأفكار فإن الأمر فى مواجهة العولمة يرتبط بفقد الهوية لأننا غالباً ما يؤدى بنا الحديث حول مسألة الهوية إلى أن نتحدث وكأننا نعيش وحدنا ولا يعنى ذلك أن نخضع لغيرنا ولقوانينه التى يعمل على فرضها علينا ولكن علينا أن نتفهم حقيقة الواقع الذى يواجهنا أولاً لأن جزءاً من صعوبة وفشل عملية التنمية

يأتى من استسهال تلك العملية والقرآن يقول لنا: «ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة» إذن فالأمر هنا يتعلق بمعادلة الخروج وهى تتعلق بطرفين: الإرادة والعدة فنحن نتحدث عادة عن عملية المواجهة كموقف ولا نتحدث عن فقه المواجهة فإذا تحدثنا عن هذا الفقه لابد أن نجيب على أربعة أسئلة هى: من نواجه؟ وكيف نواجه؟ ومتى نواجه؟ وأين نواجه؟.

فالمسألة تتعلق بالزمان والمكان والهدف وطبيعة الطرف الذى نواجهه والتشابه بين هذه الأمور جميعاً يصنع فكراً للمواجهة يستطيع أن يصنع ذلك على نحو مرحلى فى إطار يتعلق بالدائرة الإيجابية أى فعلنا نحن ثم بعد ذلك البحث فيما يتعلق بعمليات المواجهة.

وفى هذا تحضرنى الأصول الخمسة التى تحدث عنها أئمة الشرع وهى المتعلقة بحفظ الدين وحفظ النفس وحفظ النسل وحفظ العقل وحفظ المال وأظن أن المحاور التى تحدث عنها الأستاذ محمد مبروك والمتعلقة بالهوية الحضارية الإسلامية واستقلال القرار السياسى ووضع أسس التنمية الإسلامية المستقلة والتكتل العربى الإسلامى والتطور الفكرى والتقدم التقنى. كل ذلك يدخل فى إطار هذه الكليات الخمسة أيضاً وأنا أؤيد ما قاله الدكتور الدسوقي عن حاجتنا إلى فقه الاستمرار فالواقع الراهن الآن يعمل على تغييب عقل الإنسان وهذا ما يدخل فى إطار الأصول الخمسة لأن من فقد عقله فقد دينه وفقد نسله ونفسه وماله، فإعادة تشكيل البناء العقلى هى مدخلنا الأساسى لمواجهة العولمة لأننا من خلال ذلك نستطيع أن نستنفر الناس ذهنياً وعقلياً وحركياً إلى تلك المواجهة.

وما يجب أن يكون واضحاً لدينا هو الموازنة بين معادلة الممكن والإمكان

والتمكين لأننا عند مواجهة التحديات قد نضيع الممكن فى سبيل المستحيل وكأننا نتصور أننا فوق قمة الجبل ونبدأ دائماً من قمة الجبل دون عدة أو إعداد ومسألة الانتقال من الممكن إلى الإمكان ثم تحول ذلك إلى التمكين يدخل فى إطار البحث عن القدرات الحقيقية لكياننا ثم تعبئة وتنمية تلك القدرات واستثمارها بما يحقق عملية التمكين.

وفى هذا السياق علينا أن نؤكد أن الاستنفار لا بد أن يصحبه العطاء والقدرة على الفعل ولذلك فإن التربية العقيدية الجهادية هى الأساس الذى لا بد أن ننطلق منه إلى كل هذه الأمور. إن عقيدة لا تدفع ليست من الإسلام فى شىء وشريعة لا تدفع ليست من الإسلام فى شىء ولا بد أن تؤسس علماً للسنن القاضية لأن هذه السنن تعطى من أمن مثلما تعطى من كفر لأننا أحياناً نتحدث وكأننا نضن على الله بالإيمان فنقول كيف رفع هؤلاء وهم كفار ونحن فى هذا الوهن والضعف؟ فالسنن هى التى تحكم هذا وذاك.

الدكتور سيد دسوقي:

إن أمر المواجهة يتعلق بالإنسان قبل أى شىء فاستنفار هذا الإنسان هو الذى يعطيه القدرة على مواجهة كل التحديات وأنت إذا أردت المواجهة فليس عليك الاندفاع إلى الدخول فى صدامات وإنما عليك أن تضعف إنتاجك. والعمل السياسى الحقيقى هو الذى يربى الناشئة على العمل على مضاعفة الإنتاج. إنك قد تندهش إن القوى الإنتاجية فى مصر لا تستثمر على كافة المستويات ولقد عقدت ندوة لأشهر المكاتب الاستشارية الهندسية فى مصر فوجدنا أن هذه المكاتب لا تدخل فى أكثر من ٥٪ من العمل

الاستشارى فى محال الاستثمار بينما يتم الاعتماد الأكبر فى ذلك على الخارج فكيف من الممكن أن نستطيع المواجهة ونحن نعتمد على العقول الأجنبية فى كافة أمورنا. حتى فى أبسط الأمور مثل الصرف الصحى فإننا نعتمد على الفرنسيين واليابانيين فى التخطيط المدنى لذلك.

الأستاذ جمال البنا:

العولمة ليست جديدة فقد جاء وقت حكم فيه الرومان أغلب العالم القديم وفرضوا عليه قوانينهم ونفس الأمر قد حدث بالنسبة للإنجليز فى العصر الحديث وما يحدث الآن ليس نهاية التاريخ وإنما هو التجربة الأخيرة حتى الآن للعولمة وهى صورة تختلف عن صور العولمة السابقة من حيث المعنى الحضارى فعلى الرغم من كونها تعتمد على قوة السلاح إلى حد ما أيضا ولكنها تركز فى الأساس لاعلى مجرد الهيمنة ولكن على إذابة مشخصات كل الشعوب وخصائصها وهوياتها لكي تتفق مع الصورة الغربية الأمريكية فنحن الآن أمامنا الآن ثلاثة تحديات:

قوة السلاح وهم يتفوقون علينا فى ذلك تفوقا كبيرا ولكن حتى لو امتلكننا هذا السلاح فليس هو الشرط الوحيد للمواجهة لأن استخدام السلاح الآن لم يعد أمراً هيناً بل إن قوة السلاح قد تهزم من قوة أقل كما حدث بالنسبة لروسيا فى أفغانستان والشيشان.

ولكن التحدى الحقيقى هو المتعلق بقضية التنمية لأنها قضية متعلقة بالشخصية الحضارية والتحدى الحضارى.

فقد كانت هناك بعض مفاهيم خاطئة حول هذا الموضوع فى ظل الفكر الاشتراكى حيث غدى من المتصور أن التنمية تتعلق بالقيام بعمل

الصناعات الثقيلة فتم إنشاء الأفران الضخمة دون النظر إلى مدى القدرة على استمرار مدنها بالمواد الأولية ولا إلى الأسواق التي تتجه إليها في ظل المنافسة الدولية ولذلك فلا بد من التخطيط الدقيق قبل الاتجاه إلى المشروعات الطموحة، لقد كان لأجدادنا أنواع من التنمية قد تثير سخرتنا ولكن أهمية هذه الأنواع التنموية هي في واقعيتها لأن التكيف مع الواقع هو الشرط الأساسي للتنمية المستهدفة وقواعد العولمة الجديدة المتمثلة في الانفتاح الاقتصادي العالمي تحيل العالم إلى سوق عديم التكافؤ وكأن الأمر داخل حلبة صراع بين أشخاص هزيلة ودينا صورات فهم يتفوقون تكنولوجياً واقتصادياً تفوقاً كاسحاً ومن ثم فلا بد أن تتجه خططنا الاقتصادية إلى الاكتفاء الذاتي فلا بد أن نعتمد على أنفسنا في إنتاج كل مستلزماتنا الحياتية وحتى إذا حدثت عملية إغراق فإن ذلك يتطلب في الأساس الارتكاز على الإيمان لأن عملية التنمية هي عملية حضارية شاملة وعملية إيمانية في الأساس لأن فكرة إنها عملية حسابية يناط القيام بها للخبراء والفنيين هي فكرة شديدة الزيف فرغم التقدم التقني الكبير للاتحاد السوفيتي لكنه فشل في النهاية لفقدانه تلك الروح الإيمانية. إن ما يفعله الرئيس مبارك الآن من مشروعات هي مشروعات غاية في الأهمية ولكنها كانت تتطلب المشاركة الشعبية من الخبراء في كافة المجالات واحتياجنا إلى ذلك ليس فقط من أجل الوصول إلى القرار السليم ولكن أيضاً لضمان المشاركة في هذه المشروعات العملاقة ولا بد أن نتفهم أن هذه التنمية هي رمز عزتنا ورمز استقلالنا وكرامتنا وأن التنمية في هذا العصر هي الجهاد الحقيقي وهو جهاد تحت لواء الإسلام تشترك فيه الجماهير من وضع الخططة حتى تطبيقها حتى تقييمها ومن هنا يكون لها النجاح فلا بد من الجانب

الايديولوجى للتنمية لكى نتمكن من مواجهة إغراء السلع الأجنبية فليس لنا سوى هذا السلاح أمام هذا الإغراء.

إننا فى خلال السنوات القادمة سنجد مئات بل آلاف القنوات الموجهة إلينا مباشرة وكلها تعبر عن حضارة واحدة تعمل على الغزو الحضارى للشعوب وهى الحضارة الغربية وهى حضارة لا تحمل سوى قيم القوة والاستمتاع والصراع وليس بها معنى للرحمة أو للخير. والشخصية المسلمة تتعرض لأن تتأكل وتذوب أمام هذا الغزو الكاسح ما لم تحصن بالإيمان فالإيمان هو خط الدفاع الوحيد والأول والأخير وليس هناك خط دفاع غيره.

كما أننا لن نستطيع مواجهة تلك التحديات إلا إذا فهمنا الإسلام فهماً حقيقياً فلا بد أن تُبث فى الفكر الإسلامى روحٌ جديدة هى فى الحقيقة ليست ابتداءً جديداً وإنما هو عودة إلى إسلام محمد ﷺ وليس إسلام الفقهاء فلا بد من تنحية كل ما يفصل بيننا وبين القرآن وسنة محمد ﷺ من فقه ومذهبية لأننا من خلال تلك المذهبية لم نعد نستمد ديننا من أصوله الحقيقية ولكن من التراث والتقاليد فالإسلام الذى أنزل على محمد من جديد.. الإسلام القوى.. الإسلام الحضارى.. الإسلام الفعال.. الإسلام الخير ومن هذا الإسلام نستطيع أن نستمد الخير ومن هذا الإسلام نستطيع أن نستمد الإيمان القادر على الانتصار فى معارك المواجهة التى نخوضها.

محمد مبروك:

أحب أن أؤكد على المقولة التى قررها الأستاذ جمال البنا فى كلمته وهى حاجتنا إلى فكر إسلامى جديد لأن الفكر الإسلامى الحالى قاصر عن

مواجهة تحديات ومتطلبات المرحلة فنحن نحتاج إلى الفكر الإسلامى القادر على استيعاب المتغيرات الحضارية والرؤى والتصورات الغازية وتقديم البديل الحضارى المستخلص من تفاعل الحقائق الإسلامية مع الواقع ولذلك فإن الشرط اللازم والضرورى للتقدم الحضارى هو التطور الفكرى ليس فقط فى وعى النخبة ولكن أيضا فى الطليعة من الجماهير وذلك من خلال تعبئة الجماهير بمستخلصات هذا التطور الفكرى فهذا هو الطريق لكى أستطيع أن أصنع جماهيراً قوية قادرة على المواجهة ولها علاقاتها الوثيقة بالنخبة من أجل صناعة تيار شعبى واسع متفاعل مع الواقع يستطيع أن يستوعب كل ما يطرحه القادة من أفكار لمواجهة كل الأخطار والتحديات المفروضة.

د. رفعت العوضى:

العولمة التى نواجهها هى المرحلة الأخيرة للنظام الرأسمالى العالمى وهناك خلط يحدث عندما بين القوة الاقتصادية والنظام الاقتصادى فليس شرطاً لوجود القوة الاقتصادية أن يكون نظامها الاقتصادى سليماً وعلى الرغم من سقوط الأنظمة الاقتصادية الاشتراكية ولكن العالم لم يسلم مع ذلك بصحة النظام الرأسمالى والبلاد التى سقط بها النظام الاشتراكى كانت أقل البلاد استجابة للنظام الرأسمالى فالانتخابات التى تحدث الآن فى كل دول الكتلة الشرقية السابقة يفوز بها الاشتراكيون عادة بل إن دول أوروبا الغربية نفسها فرنسا وألمانيا وبريطانيا وغيرها فإن الأحزاب الحاكمة فيها جميعاً إما أحزاب من اليسار أو أنها أقرب إليه من اليمين مثل الوسط أو يمين الوسط وكل هذا يعنى أن العالم لم يقبل الرأسمالية ولم يسلم بها بل إن الأزمة التى يشهدها العالم فى الكثير من المناطق هى أزمة الرأسمالية وما حدث

للنموذج الآسيوية هو فى حقيقته أزمة الرأسمالية وعندما تتفاوض المنظمات الاقتصادية الموجهة أمريكيا مع الدول النامية وكذلك فى المؤتمرات العالمية التى تعقدها الدول الغربية تلك مع الدول فإن الإلحاح لا يكون إلا على توجه البلاد إلى الإصلاحات الاقتصادية والتى تترك البلاد مفتوحة لحركة الاقتصاد العالمى وهذا يعنى فى حقيقته إفلاس الرأسمالية كنظام جاذب لتوجهات الشعوب وما يحدث فى عالمنا العربى من تسليم تام بمزايا الرأسمالية وهو حالة خاصة بنا دون دول العالم أجمع.

مشاركة الشعوب

ولذلك فإن وضع الرأسمالية موضع تساؤل أصبح يعطى المشروعية لوضع نظام اقتصادى جديد والنظام الاقتصادى الوحيد المرشح لأن يكون بديلاً للنظام الرأسمالى هو النظام الاقتصادى الإسلامى وليس مايطرحه هنتجتون فى كتابه «صراع الحضارات» عن المواجهات بين العالم الإسلامى والغرب هو الحقيقى لأن مصدر الخوف الغربى هو النظام الإسلامى نفسه وتحديه للنظام الرأسمالى الذى وضع موضع شك منذ الإعلان عنه فى بداية التسعينيات كنظام عالمى وحيد.

وعندما نتحدث عن النظام الإسلامى فإننا لابد أن نتحدث أولاً عن دور الدولة فيه وأزمة النموذج الآسيوية الأخيرة هى فى الأساس أزمة لدور الدولة لأن الدولة لو كانت موجودة فى الاقتصاد لما استفحلت الأزمة إلى هذه الدرجة وكان يمكن مواجهتها فى مراحلها الأولى والإسلام يطرح نفسه طرْحاً محدداً فيما يتعلق بقضية دور الدولة وبالنسبة للناحية الاقتصادية على وجه الخصوص فإن الإسلام ضد إلغاء دور الدولة بأى حال من

الأحوال وإذا طبقنا ذلك على التجربة الآسيوية نجد أن الإسلام ليس ضد البورصة ولكن هناك نوعين من البورصة: نوع يتم بها بيع المعلوم ونوع يتم بها بيع المجهول والإسلام ضد بيع المجهول هذا ومشكلة النمر الآسيوية أنها دخلت تلك المنطقة مخالفة بذلك تعاليم الإسلام فالإسلام كيفما تصعد يطرح نفسه بكفاءة ولو أننا أخذنا بقواعد البيع فى الإسلام فى البورصة ما أخذنا البورصة إلى تلك الأزمة وما تحولت البورصة إلى هذا الوحش الكاسر.

ومن ناحية أخرى فلا بد من مشاركة الشعوب فى المشاكل الاقتصادية فهناك كاتب من أهم المؤثرين فى تشكيل العقلية الأميركية يدعى نوركي كتب كتاباً سماه «الآمال قد تحدث» فى هذا الكتاب جعل الفصل الأول عن نظرية مالتس وتحدث هذه النظرية عن ضرورة التخلص من القدر السكانى الزائد بكافة الوسائل الشرعية وغير الشرعية وقد طبق الغرب تلك المفاهيم تطبيقاً دقيقاً على الشعوب وإلا كيف تفسر المجاعات التى تحتاج الشعوب الآن فى الوقت الذى يلقى فيه الغرب الفائض من طعامه فى البحر. لكن الإسلام حدد المشكلة الاقتصادية فى **الإعمار مع عدالة التوزيع** فالواجب الاقتصادى للإنسان فى هذه الأرض هو أن يعمرها ولقد تضمنت مقدمة ابن خلدون نظرية إنتاجية إسلامية مؤسسة على الجمع بين الإعمار وعدالة التوزيع وأنا أقول إن دول العالم التى حققت أكبر قدر من التقدم قد حققت فى نفس الوقت أكبر قدر من عدالة التوزيع وتشهد الدول المتخلفة اختلالاً كبيراً فى سوء التوزيع لكن النظام العالمى حدد المشكلة فى المشكلة السكانية ومؤتمر السكان فى القاهرة كان الترجمة الحقيقية لذلك الموقف

الذى يتبناه النظام العالمى الجديد والنظام العالمى استخدم الأمم المتحدة كأداة من أدوات لفرض سياساته.

الكيانات الكبرى

وهناك مدخل آخر للنظام العالمى الجديد هو مدخل الكيانات الكبرى فدول أوروبا الغربية الآن أى ست عشرة دولة تتجمع كلها فى كيان اقتصادى واحد وهناك برنامج موضوع لكى تلحق بها دول أوروبا الشرقية أيضا لتصبح أوروبا كلها كيانا اقتصاديا واحداً.

وتتجمع دول أمريكا وكندا والمكسيك فى كيان واحد وتسعى الولايات المتحدة أن تجمع دول أمريكا الجنوبية مع دول أمريكا الشمالية فى كيان اقتصادى واحد وهناك حركة اندماج كبيرة الآن بين بنوك العالم لأنهم عرفوا أن العالم الآن عالم الكيانات الكبرى والمنافسات الاقتصادية الكبرى وليس هناك بديل أماننا سوى الدخول فى تكتل اقتصادى يجمع كل الدول العربية والإسلامية وهذا ليس حديث خيال فإن ما هو قائم بالفعل من هيئات مثل مؤتمر العالم الإسلامى يصلح أن يكون البداية لذلك التكتل.

جمال البنا:

فى الحقيقة فإن مؤتمر العالم الإسلامى هو مؤتمر حكومات وكثير من الأنظمة قد تكون فى ذاتها هى العقبة فى سبيل توحيد الشعوب وانطلاقها إلى الأهداف الكبرى ولذلك فأنا أتصور أنه ينبغى الإعداد لعمل تكتل جماهيرى يبين هذه الدول بصرف النظر عن موقف الحكومات. فالشعوب هى المناطة فى الأساس بسياسة الإنماء والتكتل والمواجهة وليست الحكومات القائمة.

محمد إبراهيم مبروك:

إن هذا ما يؤكد ما أشرت إليه من أهمية استقلال القرار في عالمنا العربي والإسلامي من أجل مواجهة التحديات لأن كل خطط المواجهة ستذهب عبثاً إذا لم نملك القرار السياسي المستقل.

الدكتور محمد مورو:

من وجهة نظري فإن العولمة ليست فكرة ولا أيديولوجية ولا فلسفة وإنما هي تعد شكلاً من أشكال أو أطوار الرأسمالية العالمية ومع ذلك فإن العولمة التي تمثل الحضارة الغربية بينها وبين الإسلام صراع كبير. وهي تريد أن تتعامل مع الإنسان كفرد مقطوع الجذور والصلة بينه وبين أي انتماء إلى أي دين أو قومية وهي تريد أن تتعامل مباشرة مع وكلائها من السماسرة ولذلك فهي تعمل على إلغاء الحكومات وإبدالها بالكيانات الصغيرة وفي النهاية تعبر عن تطور آلة الشر الرأسمالية فإن تطورها سيمضي بها إلى الإفلات من زمام الغرب نفسه لكي تعمل بتلقائيتها الذاتية وتلغى الإنسان الغربي نفسه في النهاية ويصبح العالم أجمع تحت سيطرة مجموعة من مبرمجي الكمبيوتر ومراكز المعلومات وبعد ثلاثين عاماً مثلاً قد يصبح العالم أجمع خاضعاً لتلك الآلة.

ولأن الاشتراكية فشلت والرأسمالية تبرز مظاهر فشلها الآن فإن العالم يحتاج إلى المنظومة الحضارية الإسلامية وتلك المنظومة لا تجمع فقط العرب والمسلمين ولكنها تجمع المستضعفين في العالم أجمع لأن العالم بالفعل أصبح قرية صغيرة في ظل تقدم الاتصالات.

وما يجب أن نسعى إليه الآن قبل فوات الوقت هو عمل المنظومة التي

تجمع كل ضحايا الرأسمالية فى العالم وإعلام شعوب العالم أجمع أن الرأسمالية تقودهم إلى كارثة على كل المستويات.

ولأجل أن نصنع ذلك فنحن نحتاج إلى فقه جديد أسميه «فقه الإقلاع» وأقصد بذلك الإقلاع من حالة الهزيمة الحضارية التى نقع فيها. وأنا إذا أردت البناء والتنمية فعلى أن أبنى الشعوب وأثمها أولاً لأن الإنسان وحده هو القادر على المواجهة وحتى لو استطعت أن أبنى المصانع الكبرى فسأكون مهدداً بضرب الغرب لها فى أى وقت أما إذا زرعت فداناً فالغرب لا يستطيع أن يمنع المطر. فالمطلوب على المستوى العام أن نصنع المنظومة الأيديولوجية الحضارية للمستضعفين فى الأرض ونقول لهم هذا هو النظام البديل. وعلى المستوى الخاص ندعو إلى الاكتفاء الذاتى إنتاجاً واستهلاكاً ولايعنى ذلك أننى ضد التقدم بل إننى لا بد أن أكون مع التقدم لأنه آلية من آليات المواجهة ولكن أريد أن أركز على ما استطيعه والمحدد فى الاقتصاد البسيط وغير التابع والذى لا يرتبط بالسوق العالمية وفى مقابل هذا هناك عقلية أخرى مثل عقلية الحكومات والأحزاب فإنها تريد أن تنافس من خلال الكمبيوتر ومن خلال تحكم النظام العالمى فى الدسكات وشبكة الإنترنت فإن ما تملكه أنت نفسك من معلومات لن تتحكم فيه وذلك فلا بد من التخلص من تلك العقلية التابعة للأدوات والآلات وأيضا من التفكير النمطى فأنا لا أعيش فى عالم الرسول ﷺ ولا فى عالم السيادة الحضارية الإسلامية وإنما فى عالم تحكمه بالفعل قوة واحدة ولذلك لا بد أن نعترف إننا فى حالة هزيمة حضارية وأنطلاقاً من ذلك فإن علينا أن نعد أدوات الضعفاء والمهزومين فى المواجهة ولا نعتمد على أدوات غيرنا فلو كانت

السودان مثلاً صنعت ألف مصنع صغير بدلاً من مصنع الشفاء الكبير الذى ضربته أمريكا لاستعصى ذلك أن يكون هدفاً لضربها.

محمد مبروك:

دائماً الدكتور مورو يشكك فى الاعتماد على القوة العسكرية فى ردع الأعداء ولهذا فأريد أن أعلم ما هو تعلية على ما صنعتها القوة الإيرانية من ردع خصوصاً بعد إنتاجها للصاروخ «شهاب ٣».

د. محمد مورو:

فى الحقيقة فإنه قد يحدث علاقة طردية بين قوتك العسكرية وضعف قدرتك على المواجهة فكلما ازدادت آلتك العسكرية ازدادت ضعفاً لأنه مع عدم وجود الروح الإيمانية الجهادية فإن خوفك سيزداد على الآلة العسكرية التى تملكها ولذلك ستفضل المساومة على المواجهة.

محمد ابراهيم مبروك:

؛ ولكن هذا لاينفى تلازم الأخذ بالأسباب مع الروح الإيمانية الجهادية وكما قال الله تعالى: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم ولكن الله يعلمهم». فنص الآية صريح فى أثر قوة الإعداد فى الردع وذكر رباط الخيل هنا له دلالة على الإعداد بالتسليح بوجه عام ويشهد الواقع أن التقدم التقنى العسكرى لإيران وباكستان كان له أثره الكبير على ردع أعداء الأمة.

د. رفعت العوضي:

لابد ألا نخذع أنفسنا فإن عصر الحصول على التكنولوجيا من الغرب قد انتهى فليست هناك استفادة من هذه التكنولوجيا إلا بتصريحات غاية في الخنوع ومن ثم لابد أن نشمر عن ساعد الجد لنبتدع تكنولوجياتنا ونطورها بأنفسنا إن لدينا العقول القادرة على الابتكار في مصر وماليزيا وأندونيسيا وباكستان وإيران والأمر لا يحتاج سوى المزيد من التعاون لنستطيع أن نبتدع تكنولوجياتنا بأنفسنا من خلال إدماج تلك العقول.

الفهرس

٥	_____	* الإهداء
٧	_____	* المقدمة
١١	_____	* مدخل: العولمة فى الغرب والشرق
٣٥	_____	* الجلسة الأولى:
٣٧	_____	كلمة الأستاذ عادل حسين: العولمة وصراعنا مع الغرب
		ورقة الدكتور محمد السيد الجلىند: معالم النهوض فى القرن
٤٢	_____	القادم .
٥٦	_____	تعقيب الأستاذ طلعت رميح
٥٩	_____	* الجلسة الثانية
٦١	_____	كلمة الدكتور السيد دسوقى: العولمة وقضايا التقنية
٧٠	_____	كلمة الدكتور مجدى قرقر: الآثار الضارة للعولمة
٧٤	_____	تعقيب الدكتور حمدى مرزوق
٧٧	_____	تعقيبات أخرى
٨١	_____	* الجلسة الثالثة
٨٣	_____	كلمة الدكتور عبد الوهاب المسيرى: العولمة والشرق أوسطية -
٩١	_____	ورقة الدكتور أحمد عبد الرحمن: العولمة وجهة نظر إسلامية -
		كلمة محمد إبراهيم مبروك: الصراع الأيديولوجى الكامن وراء
١٠١	_____	العولمة

- ١١٢ تعقيب الدكتور محمد عبد المنعم البرى
- ١١٥ * الجلسة الرابعة
- ١١٧ كلمة الدكتور محمد عمارة: العولمة وتقنين الهيمنة الغربية
- ١٣١ ورقة الدكتور على جمعة: العولمة حالة لامفهوم.
- ١٣٤ تعقيب الدكتور محمد مورو
- ١٣٦ تعقيب الباحثة هبة فراج
- * الورقة الملحقة بالمؤتمر (ورقة الأستاذ جمال البنا): الإسلام دين
- ١٣٩ العالمية لا العولمة
- ١٥٣ * الحلقة النقاشية: الخطوط الأولى لمواجهة العولمة

التجهيزات الفنية:

جهاز للطباعة والنشر والتوزيع

٢٦ ش إسماعيل أباطة - بجوار محطة مترو انفاق «سعد زغلول»

لاظو على - الدور الخامس ت: ٣٥٦٤٧٨٣

*** كتب لمحمد إبراهيم مبروك**

- ١- أمريكا والإسلام النفعي
- ٢- علمانيون أم ملحدون
- ٣- تزيف الإسلام
- ٤- كن قوياً بالإيمان
- ٥- الصراع حول المادة وجوهر الحياة
- ٦- مواجهة المواجهة
- ٧- موقف الإسلام من الحب
- ٨- أنت أعطيت البراءة لقاتلينا (ديوان شعر)
- ٩- الإسلام والعولمة (مع آخرين)
- ١٠- البديل الإسلامي العالمي

*** كتب تحت الإعداد للطبع**

- ١١- الإسلام والغرب الأمريكي في عصر العولمة
- ١٢- نظرية الفن الإسلامي
- ١٣- موقف الفكر الإسلامي من ابن رشد وفيلم المصير (مع آخرين)
- ١٤- موقف الإسلام من الأراضي الزراعية
- ١٥- القاهرة الآن (رواية)
- ١٦- دمي على يديك (شعر)
- ١٧- من أجل من أهدرت دمك (شعر)
- ١٨- الصراخ ضحكاً (شعر)
- (١٩) كليوباترا (الأم أنطونيو البشعة) (شعر)
- (٢٠) خمسة دواوين من الشعر والنزيف لم يقف (شعر)
- (٢١) الرحيل والذبيح (شعر)
- (٢٢) أثقل من نيران الأرض ذاكرتي (شعر)
- (٢٣) صنعت من حياتي قصيدة عشق لك (شعر)
- (٢٤) المجنون والحلم (قصص قصيرة).

